ISSN 2347-2456

المجلد ٧١

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن – المجلد الحادي والسبعون
صفر ١٤٤٧هـ – أغسطس ٢٠٢٥م

- هل يتضامن العالم الإسلامي أو يتفرج صامتاً ؟ (افتتاحية العدد)
- المصلحون والمفسدون
- طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
- سمو القيم الإنسانية تحت راية التعاليم الإسلامية
- يعلمون ولا يعلمون
- سؤال المصلحة في الفكر المقاصدي الإسلامي
- دراسة فنية لحديث سنداً ومتناً
- الإعلام الإسلامي وخصائصه ودوره في المجتمع
- العقّاد في كتابه " عبقريّة الصّدّيق "
- الأستاذ حبيب الحق الندوي أحد الأعلام الندويين
- الجوائز أوسمة فخار لا وصمة شنار

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثماني مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧١

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أغسطس ٢٠٢٥م — August 2025

العدد الثامن – المجلد الحادي والسبعون – صفر ١٤٤٧هـ – أغسطس ٢٠٢٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيدالأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثامن – المجلد الحادي والسبعون – صفر ١٤٤٧هـ – أغسطس ٢٠٢٥م

❖ أخي القارئ !

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم — مدير التحرير — ٥

❖ الافتتاحية :

هل يتضامن العالم الإسلامي أو يتفرج صامتاً ؟ — سعيد الأعظمي الندوي — ٦

❖ التوجيه الإسلامي :

المصلحون والمفسدون — الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله — ١٠

يعلمون ولا يعلمون — الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد — ١٤

❖ الدعوة الإسلامية :

طاعة النبي صلى اللّه عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢١

منهج النبيّ صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الناس — الأستاذ محمد إسحاق بن محمد عبد اللطيف — ٢٥

سمو القيم الإنسانية تحت راية التعاليم الإسلامية — د . عبد الناصر ، تي — ٣٤

❖ الفقه الإسلامي :

سؤال المصلحة في الفكر المقاصدي الإسلامي — الدكتور علي رابحي — ٤١

❖ دراسات وأبحاث :

دراسة فنية لحديث سنداً ومتناً — الأستاذ عمر ماجد السنوي — ٤٦

الإعلام الإسلامي وخصائصه ودوره في المجتمع — الدكتور معراج أحمد معراج الندوي — ٥١

الطب النبوي : بين العلم والدين : دراسة تحليلية معاصرة — الأستاذ محمد رضي الإسلام الندوي — ٥٧

العقّاد في كتابه " عبقريّة الصدّيق " — د . قمر شعبان الندوي — ٦٦

❖ الأدب المعاصر :

أثر التيارات الفكرية في ظاهرة الأدب المعاصر — أ . د . مفيدة إبراهيم علي عبد الخالق — ٧٣

❖ رجال من التاريخ :

الأستاذ حبيب الحق الندوي أحد الأعلام الندويين — الأستاذ طلحة نعمت الندوي — ٧٦

الأديب فخر الدين قباوة وجهوده العلميّة — الأخ عبد الوهاب الشكوري — ٨٣

❖ صور وأوضاع :

الجوائز أوسمة فخار لا وصمة شنار — محمد فرمان الندوي — ٨٨

❖ بأقلام الشباب :

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب — الأخ عدنان أحمد العجائب — ٩٢

فجر وضحى وظهر الإسلام لأحمد أمين : دراسة موضوعية — الأخ احتشام حسن الندوي — ٩٣

❖ أخبار علمية وثقافية :

نشاطات النادي العربي في رحاب دار العلوم لندوة العلماء — الأخ عبد الله المجاهد — ٩٦

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١.الشيخ أنس بن أحمد القرقوري إلى رحمة اللّه تعالى — د . صالح العود — ١٠٠

٢.الشيخ الداعية محمد مستقيم البستوي في ذمة اللّه تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

٣.الشيخ محمد علاء الدين الندوى الى رحمة اللّه تعالى — " " " — ١٠١

٤.الشيخ اشتياق أحمد اللاري الندوي إلى رحمة اللّه تعالى — " " " — ١٠١

٥.السيدة حسينة بيغم إلى رحمة اللّه تعالى — " " " — ١٠٢

أخي القارئ !

بسم الله الرحمن الرحيم

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم

كل إنسان يتمنى حياةً سعيدةً ، ويبتغي راحةً أبديةً ، ويبذل لها جهوداً مضنيةً ، ومساعي مرهقةً ، ويجمع لها من الرياش والأثاث ، كما يستقطب الأدوات والإمكانيات ، ويعتقد أنه ينال بذلك بغيته ومرامه ، ولا يفشل في غايته وهدفه ، لكنه يخيب في حياته ، ولا تتحقق أمنيته ، ويشعر بقلق بالغ ، واضطراب شديد ، فلا يهنأ له عيش ، ولا يمرأ له طعام ولا شراب ، فهو في قصره يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويتقلب على أحر من الجمر ، ثم ينكشف أمامه أن اللذة الدنيوية ، والراحة القلبية ليست في الوسائل والأسباب المادية ، بل في شيئ آخر ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى : (بَلِ ٱدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ، بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) [النمل : ٦٦] .

فالسعادة الحقيقة لا تكمن في الملذات الدنيوية ، ولا تختفي في الوسائل المادية ، بل تتصل بالقلب والفؤاد ، وكلما وجد القلب غذاءه وبلغته ، انطبع أثره على جميع أجزاء البدن ، وارتسمت على وجه الإنسان مخايل الابتسامة الحقيقية ، ووجد هذا الإنسان في هذه الدنيا طمأنينة الجنة وسعادتها ، وقد شهد التاريخ الإسلامي كثيراً من عباد الله الصالحين الذين عاشوا في الدنيا مرتاحي البال ، مطمئني القلب ، لم يكدر صفو حياتهم المنغصات ، ولم يرنق ماء وجوههم علائق الدنيا وزخارفها ، فلم يهابوا من السلطات ، ولم يرتعدوا من الحكومات ، فكان الملوك والأمراء أمامهم كالأقزام ، وكانوا يرددون من دون خوف ولا خجل : ما يصنع بي الأعداء ، إن جنتي في صدري ، ومن لم يدخل جنة الدنيا ، لم يدخل جنة الآخرة .

فلن ينال المرء هذه السعادة الدائمة في حطام الدنيا وسفساف الأمور ، ولا ينال هذه اللذة الحلوة في الموائد الفاخرة ، والألبسة المزركشة ، بل إن اللذة التي يسر بها القلب ، وتطيب بها النفس ، ويلتذ بها الروح ، وتقر بها العين هي الحب الإلهي ، والإيمان المتغلغل في أحشاء القلوب ، فإنه إكسير الحياة ، وبلسم للجروح ، ومرهم للقروح ، فإذا حظي به المرء هانت عليه كل مصيبة ، وصغرت في عينيه الدنيا ، وما أحسن قول الشاعر ابن الفارض :

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له فيه نصيب ولا سهم

كتبها بيمينه

مدير تحرير المجلة

٦/ محرم ١٤٤٧هـ

هل يتضامن العالم الإسلامي أو يتفرج صامتاً ؟

الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي منذ أمد بعيد ولا يزال ، هي أزمة الفرقة والانشقاق ، وأزمة تشتت الشمل ، وانحلال عقدة الوحدة والانسجام ، وبالتالي أزمة الاضطراب في الأفكار والاتجاهات ، والتضارب في الآراء والنظرات ، مما أدى إلى فقدان الثقة فيما بين الأفراد والجماعات ، وأحدث فوضى في كل مجال من مجالات الحياة ، وأذهب ريحهم وشوكتهم ، وشوَّه تاريخهم وسمعتهم ، وزاد إلى صفحاتهم البيضاء صفحة سوداء أضعفت فيهم روح البطولة والإيمان ، وحرمتهم منصب القيادة والزعامة ، وأفقدت فيهم القصد والاتزان ، فتألبت عليهم الأمم والشعوب التي كانت بالمرصاد ، وسلبت منهم كل ما أرادت من جوهرة العز والقوة ، وقضت على البقية الباقية من متاع الحب والحنان ، وجرَّدتهم من كل ما كانوا يملكونه من ذاتية وخصيصة ، وعرتهم من كل ما كانوا يتمتعون به من تآلف وتوادد ، وتركتهم شعباً ضعيفاً وأمة لا شأن لها .

كان ذلك أسمى أمنية راودت هذه الشعوب ، فلم تزل تعمل ليل نهار في تحقيقها ، وتستخدم كل حيلة فيما يعود على المسلمين بشتات في شملهم ، ونقص في معنويتهم ، ويتركهم لحماً على وضم ، وذلك لأنها توصلت بعد اختبار وتجربة طويلة إلى أن عزها معقود بذل المسلمين ، وأن انتصارها يرتبط باندحارهم ، فلابد من خلق أسباب تتكفل تجريدهم عن خصائصهم الأولى والأساسية التي تحول دون تحقق مطامعهم ونواياهم الشريرة الخبيثة ، وذلك بتفريق كلمتهم الموحدة ونقض وحدتهم الجامعة بأي طريق ممكن ، فإنه إذا تم ذلك تم كل شيئ بعده .

وركزت دول هذه الشعوب وحكوماتها – وما أكثرها وأقواها – في هدم هذا الأساس في مجتمعات المسلمين وفي نفوسهم ، وتحبيب الانعزالية والخروج عن الطاعة والتمرد على روح التآلف والتجمع إلى أفرادهم ، وقد وجدت هذه الحيلة سبيلاً إلى بيوت المسلمين وأسرهم ، ونواديهم ومجتمعاتهم ، ثم إلى دولهم وحكوماتهم ، حتى تفرقت أفكارهم وآراؤهم ، وتباينت وجهات أنظارهم وتضاربت أعمالهم

وجهودهم ، ولم تعد لديهم تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التى ربطتهم بخيط واحد ، وجمعتهم على كلمة واحدة ، وأقامتهم في صف واحد ، إنما كانوا أسراً موزعة ، وجماعات متفرقة ، وأحزاباً مختلفة .

وظل المسلمون يعيشون في شتات وتمزق ، ويتأرجحون بين جانب وآخر ، لا قيمة لهم في مصاف الأمم ، وكل قيمتهم أنهم يشغلون قطعة كبيرة من الأرض ، ويشكلون أغلبية ساحقة في معظم الأقطار ، ويملكون معادن كبيرة من خيرات الطبيعة ، وآبار البترول ، وحقول الطاقات الرئيسية ، إذن كان لا بد من إضعافهم وكسر قوتهم ، وإخضاعهم لشواغل نفسية وغرائز بهيمية ، ونزوات شيطانية تمزق وحدتهم ، قبل كل شيئ ، وتقطع صلتهم عن مصدر قوتهم بعده .

أنتج هذا الشتات تفرقاً في الأفكار والاتجاهات ، ووجهات الأنظار ، فهنا كتل ، وجماعات ، وهناك أحزاب ودويلات ، وهذا شرقي وذاك غربي ، وهذه شمالية وتلك جنوبية ، وتحقق ما حلم به الاستعمار من تناحر وتخاصم ، بين بلد وبلد ، وأمة وأمة ، وعاد التاريخ على أعقابه ، وتجددت الجاهلية بأسماء لماعة وألقاب خلابة ولافتات جذابة ، وغزت هذه الشعوب والأمم الجالسة بالمرصاد عقر بيوت المسلمين ودخلت مخادعهم ، وأذاقتهم عذاب الهون ، وساقتهم بعصا الحكم وصادرت كل ما كانوا يملكونه من بقايا الفضائل والآداب الإسلامية ، واستولت على عقولهم وخيراتهم كلتيهما ، وفعلت من الأفاعيل ما لا يخفى على الخبير الواعي .

ولم يكن وجود هذه الأزمات والمشكلات الكثيرة الطريفة التي يعاني منها الأقطار الإسلامية والعالم الإسلامي إلا ثمرة هذا التفرق والتمزق ، ولم يكن وجود إسرائيل في قلب العالم العربي ومشكلة فلسطين وذهاب بيت المقدس من أيدي المسلمين إلا نتيجة لهذه المنازعات والمخالفات التي شغلتهم وذهبت بريحهم وقوتهم ، الأمر الذي أقض مضاجع العالم الإسلامي كله ، وتركه على خرط القتاد منذ أمد غير قصير ، وقد أدى العالم الإسلامي العربي ضريبة الذل والعار بخسران المعركة ضد اليهود ، والحرمان من حقوقه ومقدساته في القدس وفلسطين وسيناء ومرتفعات الجولان عام ١٩٦٧م .

لقد ذاق العالم الإسلامي وأرض غزة ، أرض العزة والصمود منذ سنتين مرارة هذا التشتت والتفرق من جديد ، فلا تزال تهراق فيها دماء المسلمين الأبرياء من الأطفال والنساء والمرضى والمعاقين ، وتستمر سلسلة

من القتل والتشريد وهدم البيوت والمنازل من دون هوادة ولا رحمة ، فلا تطلع شمس في يوم من الأيام على أرض غزة ، إلا وتأتي بعشرات من المشاهد البشعة والمجازر الوقحة ، ويرى العالم الإسلامي كله ذلك ويسمع ، حتى الأمم المتحدة ، ولجنة حقوق الإنسان التي أنشئت لإنشاء بيئات من الأمن والأمان في العالم كله عاجزة عن إيقاف هذه المجزرة .

وقد أحاطت أرضَ غزة وفلسطين دول العالم العربي إحاطة السوار بالمعصم ، وهي دول شقيقة وبلدان مجاورة لفلسطين ، لكنها مكتوفة الأيدي والأرجل ، ومغلولة الأعناق ، لا تستطيع أن تقدم مساعدات مالية ، ولا يمكنها أن توفر أدوات لازمة للحياة ، فضلاً عن إمساك الظالم عن قتل الأرواح والأنفس ، وهدم البيوت والمنازل ، وقد صدرت إدانات وبيانات شجب واستنكار على هذه العملية القبيحة من المنظمات العربية الذائعة الصيت في العالم كله ، واجتمع رؤساء الدول العربية تنديداً لهذه المجازر ، لكن كانت اجتماعاتهم حبراً على ورق ، أو نفخة في رماد ، ولا شك أن هذه الاجتماعات كانت نداء ضمائرهم وقلوبهم ، لكن الأوضاع الراهنة كانت تتطلب أكثر بكثير من هذا ، ومما زاد الأمر تفاقماً أن الرئيس الأمريكي زار هذه المناطق الخليجية ، وأقام في الدول الثلاث أياماً وليالي ، حتى قامت هذه الدول باستقباله الفريد وترحابه المنقطع النظير ، وقدمت له أطناناً من الدولارات والريالات ، وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، لكنها لم تتمكن من إيقاف هذه الحرب الجارية بين حماس وإسرائيل .

وقد ظهرت إيران خلال هذه الفترة كمؤيدة وحليفة لهذه الأراضي الفلسطينية ، وكانت تستنكر من قبل ببياناتها ، وتكشف الظلم والغطرسة لإسرائيل ، واعتداءاتها على سكان فلسطين علناً وجهاراً ، وقد اعترفت بذلك قيادة حماس ، وشكرتها مرات عديدة ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر جرت حرب بين إسرائيل وإيران ، فبدأت إسرائيل الغارة على إيران بالنسبة إلى تمويلها وتأييدها لحركة حماس ، فرداً على هذه الغارة قذفت إيران الصواريخ المدمرة على إسرائيل ، اتجهت مباشرة إليها ، ولم تمسك طريقها نحو إسرائيل ، واستمرت إلى ١٢/ يوماً ، وقد خاضت أمريكا في هذه الحرب مباشرة ، وادعت بتدمير المواد النووية في إيران ، التي كانت إيران تدخرها لصناعة القنابل النووية ، ثم وقفت الحرب ، لكن وقفت الحرب بدون التركيز على النقطة الرئيسية التي كانت مبعث إشعال فتيل الحرب ، وهو إيقاف الحرب وتوفير وسائل

المعيشة في غزة ، فإذا علقت هذه النقطة في إيقاف الحرب لكان الأمر في الشرق الأوسط ، وأرض غزة بالذات بالعكس ، لكن سارعت إيران إلى وقف الحرب ، فخابت أحلام الأبطال في غزة ، ولم تتحقق أمانيهم على أرض الواقع ، هذا إن دل على شيئ فإنما يدل على نوايا إيران المختلفة التي تضمرها نحو طوفان الأقصى ، كما يشير إليه المحللون السياسيون ، نحن لا نؤول أبداً التضحيات التي قدمت إيران لمساندة أبطال غزة ، ومواصلة مسيرة الجهاد على أرض فلسطين ، وهو باب مشرق ، وقد اعترفت بذلك القيادات ذات المستوى الرفيع لحركة حماس في غزة ، لكن إيقاف الحرب من دون مبرر سابق ، وبدون شرط أساسي واستغلال هذه الحرب لمصالحها ، ينشئ في نفوس كثير من الناس الشكوك والشبهات ، ويضع القضية على طاولة النقاش .

رغم هذه التساؤلات والشبهات تتطلب الأوضاع المعاصرة من كل دولة من دول العالم الإسلامي أن تكون متضامنة ومتحدة بعضها ببعض ، لأن التضامن الإسلامي هو الحاجة الأكيدة التي تضمن العز والسعادة للأمة الإسلامية ، وتزيد ثقلها في ميزان العالم ، فإن المسلمين كلما تهاونوا في امتثال هذا الأمر الإلهي ، وتكاسلوا في ربط مصيرهم بحبل الله فأجأهم من شواذ الأحوال والأمور ، ما حط من مكانتهم ، وتسفل بهم إلى درك الذل والهوان ، وقد تبؤوا منصب القيادة ، وأدركوا حقيقتهم بالانضواء تحت لواء الوحدة والانسجام ، وامتثال ما أمرهم الله به من الاعتصام في قوله تعالى : (وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) .

ألا إن يد الله مع الجماعة ، فكونوا جماعة موحدة في العقيدة والنظام ، ووجهات الأنظار والأفكار ، والاتجاهات والآراء ، فبالوحدة ستنالون ما أنتم إليه بحاجة ، وبالوحدة الحقيقية الراسخة في الأعماق ، القائمة على النصح والإخلاص يتحقق إنقاذ الأراضي المقدسة من براثن اليهود ، وصدق الله العظيم : (وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا) .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٧/١/٦هـ

٢٠٢٥/٧/٣م

المصلحون والمفسدون

الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله

إن الشعور العام لدى المثقفين بالثقافة الغربية من المسلمين أن أوربا استغنت عن الدين ، وأن التقدم الذي أحرزته في عهد النهضة يرجع إلى ثورتها على الدين ، ولكن التجربة مع أوربا والصلة بمختلف مؤسساتها ومنظماتها للخدمات الإنسانية والتعليمية والإعلامية وحتى الاقتصادية منها ، والاتصال بمفكريها ورجال الفن فيها ، يكشف عن استمرار صلتهم بالدين بشكل من الأشكال أو بقدر من الأقدار ، ويتضح هذا الارتباط بالدين في سلوكياتهم وأفكارهم ، ويبدو هذا الارتباط راسخاً في شعورهم وميولهم ، ويعترف بذلك كل من أتيحت له فرصة الاتصال بأي فرد من أفراد المجتمع الأوربي ، ويقترن بهذا الانتماء الديني ، الانتماء القومي والعنصري .

لقد ثبت بالتجربة مع العلم أن تصور التخلي عن الدين أو التحرر منه تصور خاطئ ، وأن أي مجهود يبذل لسلخ الإنسان من التصور الديني مجهود ضائع ، وقد أجريت في السنوات الأخيرة إحصائيات عن نسبة أتباع الدين وغيرهم ، فدلت هذه الإحصائيات على أن نسبة ضئيلة من الناس لا تتبع أي دين ، ويظهر ارتباط أوربا بالدين بتحمسها الزائد لنشر المسيحية في العالم ، ووجود منظمات ودعوات دينية تنال دعم الحكومات الراقية التي تدعي بالعلمانية والسياسة الحرة والنفقات الهائلة التي تصرف على إنشاء الكنائس ومدارس التبشير ، ونفوذ الرهبان والأساقفة الذين ازداد عددهم بصورة هائلة ، وانتشار الكنائس وتوزيع الكتاب المقدس . وقد سخرت أوربا جميع الوسائل المتوافرة لنشر الدين المسيحي واستخدمت لهذا الهدف المنابر الدولية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية في الدول الخاضعة

لنفوذ أوربا ، وهو أمر جلي لا يخفى على أحد ، ولا تخفيه أوربا نفسها .

كان تصور إبعاد الدين عن الحياة قد تجدد بقيام الثورة الشيوعية ، عند ما أعلن دعاة الاشتراكية أن الدين عدو الاشتراكية الأول ، وجاهر زعماء الاشتراكية عداءهم للدين ، ولكن كانت هذه الدعوة أيضاً موجهةً إلى المسلمين وحدهم ، فقد كان المسلمون الهدف الأول للإجراءات التعسفية ، واحتفظ زعماء الاشتراكية في روسيا بالنصرانية وعصبيتهم للجنس الأوربي المسيحي وكراهيتهم للإسلام والمسلمين وإجراءاتهم القاسية لتصفية العنصر الإسلامي بالإبادة والتشريد ، وقمع الحريات الدينية والسيطرة على المساجد ، ومراكز التعليم والتربية ، وفرض الحظر على مواد القراءة الدينية ، واستمرت هذه العمليات بدون أي هوادة فيها ولا تزال تستمر في الدول الخاضعة لنفوذ روسيا رغم سقوط النظام الاشتراكي ، وظهر بذلك أن عداءهم للدين ليس إلا عداء للإسلام .

ويشاهد مثل هذه المفارقة في محاربة الدين من جهة ، واحتضانه من جهة أخرى في البلدان التي تتبع الفكر الأوربي ، فإنها متسامحة مع النصرانية ومتعاونة مع الكنيسة ورجال الكنيسة ، وتوفر كل حرية للنشاط والعمل التبشيري ، وتحتمل جميع المؤسسات التي تنشر المسيحية أو تحببها إلى النفوس ، وتحتمل مظاهر النصرانية كالصليب وصور وتماثيل السيدة العذراء والسيد المسيح وصور الرهبان والراهبات ، وتحتمل مدارس التبشير والمنشورات التبشيرية حتى في الجزيرة العربية التي ورد عنها النص الشرعي أنه لا يجتمع فيها دينان ، والدول الإسلامية المجاورة ، وتحتمل وجود الكنائس ، ولا تضع عليها رقابة ، كانت تشجع المؤسسات والمنظمات التي تحارب الإسلام والثقافة الإسلامية ، وترغم الدول الإسلامية على اتخاذ إجراءات لقمع الاتجاه الديني ، واعتباره إرهاباً ، فيتصعد في هذه البلدان النشاط التبشيري ، والصهيوني والإباحي .

لقد أصبح فرض الرقابة على النشاطات الإسلامية وإنشاء أحزاب دينية وجماعات دينية إسلامية معروفاً في البلدان الإسلامية ، بينما يتمتع

رواد أوكار الفساد والجرائم بحرية كاملة ، وكذلك ورود الصحف والمجلات والمنشورات المفسدة والمثيرة مسموح به في الدول الإسلامية ، أما مواد القراءة الإسلامية ومؤلفات كبار العلماء الإسلاميين فمرفوض ، لأنه في زعم هؤلاء المتحضرين ينمي طبيعة الإرهاب ، ويعادي الحضارة الغربية ، ويسيئ إلى مصالح الدولة .

ويدل هذا الموقف على أن المراد من الدين هو الإسلام في كل بلد ، لأن هذه الحكومات تحتمل الحركات لإحياء التراث والديانات ، والعقائد القديمة ، التي أكل عليها الزمان وشرب ، وكذلك تحتمل إحياء اللغات والثقافات القديمة ، ولا تعتبر الإقبال على هذه الأعمال تخلفاً ولا رجعيةً ولا إرهاباً ولا عنصريةً ولا ضيق فكر ، ولا عقليةً متحجرةً ، وتسمح للطوائف والفئات الدينية الأخرى غير الإسلامية بنشر أفكارها ، وخزعبلاتها في البلاد وإنشاء مراكز تربيتها للناشئين باسم حرية الأديان وحرية العقيدة ، وتفرض الدول الأوربية ضغوطها لمنح هذه الفئات حرية العمل في المجتمع الإسلامي .

أما الإسلام وهو أحدث الأديان وأرقاها وأوسعها فكراً وإنسانيةً وسماحةً وحريةً وأقربها تجربةً وعملاً ، فهو محارب في بلاد المسلمين كما هو محارب في بلاد غير المسلمين حيث لا يمكن الدعوة إليه ، ولا يمكن تأليف حزب للعاملين في سبيله ، ولا يمكن التشاور بين الإخوة المسلمين من أجل كلمة الإسلام ، ويعتبر ذلك لقاءاً إرهابياً ، ودعوةً إلى العنف وعودةً إلى الوراء ، وقد نعت الإسلام بذلك قديماً وحديثاً في كتب المفكرين الأوربيين ، ولا يزالون يرددون هذا التصور المزعوم .

إن القضية ليست قضية أعداء الإسلام ، فلا نرجو الأعداء أن يسمحوا بنشر الإسلام ، وإنما القضية قضية الذين يقولون : إنهم مسلمون ويبدون صلتهم بالإسلام ، وزعامتهم لبلد إسلامي ، إنهم يخيبون كل مجهود للدعوة الإسلامية ، ويشتتون شمل الدعاة ويشردون العاملين له ، ويفرضون القيود على تحركاتهم ، ويعتبرون ذلك خدمة لبلادهم ،

ويعتبرون دعاة الإصلاح مفسدين ، وهم كما يقول القرآن : (أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) [1] إنهم بوضع هذه العقبات في سبيل الإسلام يعملون لبقاء الاستعمار ومنحه فرص استغلال ثروات المسلمين ، وتحطيم قوة الشباب من المسلمين والمفكرين المسلمين ، ويبددون ثروة البلاد أو أنهم مخدعون بدعاية أوربا التي قامت بها في عهد الاستعمار ولم يستطع هؤلاء الحكام التخلص من تلك العقلية الاستعمارية .

إن الدين ضرورة بشرية ، ولم يستطع أحد أن يستغني عنه وهو مصدر سعادة الإنسان ، وطمأنينته القلبية ، وكل مجتمع محروم من هذه السعادة الداخلية يعيش في شقاء وحرمان ، ولذلك تنتشر الحركات الدينية بسرعة أكثر مما تنتشر به الحركات السياسية أو الاجتماعية ، ويجري الآن العمل على إحياء الصلة بالدين في جميع أنحاء العالم من الهندوكية ، والنصرانية ، واليهودية ، والبوذية ، وتساعد حكومات دول هذه البلدان هذه الحركات الدينية ، لأن اللجوء إليها يمنحها شعبيةً ، ويشاهد هذا النوع من التزامل في الهند ، وقد تصعد هذا الاتجاه أخيراً ، وتشجع الحكومة الحاضرة المنظمات الهندوكية التي تدعو إلى تهنيد البلاد ودمج كل كيان في الإطار الهندوكي ، وتجري تعديلات في نظام التعليم والتربية ، وتطالب المنظمات الهندوكية برعاية الحكام بالعودة إلى الهندوكية وتنشط المنظمات العاملة لتحقيق هذا الغرض بدون أي معارضة من رجال الحكم ، وتسعى هذه المنظمات إلى نشر عقائدها في الدول الأخرى ، وتتدفق عليها الوسائل المالية من الداخل والخارج .

ولكن المنطقة المحرومة من هذا التزامل والتضامن هي منطقة البلدان الإسلامية ، حيث يحارب الحكام رغبات الأغلبية ، يواصلون مجهوداً ضائعاً ، وغير مثمر لأنه مجهود يتعارض مع رغبات الشعب ، ويقوم على وهم ، وجهل للواقع ، ومحاولة الإرجاع البلاد إلى عهد الاستعمار .

[1] سورة البقرة الآية : ١٢ .

يعلمون ولا يعلمون

الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد *

لقد خلفت الحضارات القديمة من البقايا والأطلال ، ما يدل على سابق تفوقها في كثير من علوم الدنيا ، وإلى يومنا هذا يقف العالم كله منبهراً أمام كل جديد يكشف من آثارهم ، وهكذا هو حال حضارة اليوم ارتقاء بكل مجالات الحياة المادية ، وما صارت إليه يحير العقول ويدهش الألباب ، فعلى مر العصور كانت الدنيا بكل متاعها وشهواتها ، هي الشغل الشاغل للكثير من البشر ، وأكبر همهم ومبلغ علمهم ولا يفكرون في سواها ، فتوجهوا إليها بعقولهم أحياناً وبأهوائهم كثيراً ، وبكل ما أوتوا من قوة ، عملوا ما في وسعهم لتقبل الدنيا عليهم مرغمة بكل زخرفتها ، ومضوا في ذلك أطواراً ومراحل حتى ظنوا أنهم قادرون عليها ، قال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهراً مِّنَ ٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلآخرَة هُمْ غَافلُونَ) [الروم : ٧] فها هم يعلمون ما يخص أمور معيشتهم ومستلزمات حياتهم الدنيوية ، وغفلوا عن الآخرة فلا الجنة يشتاقون إليها ، ولا النار يخافونها ويخشونها ، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يعدون له عدته .

وقد بينت آيات من القرآن الكريم أن أكثر الناس لا يعلمون العلم المتعلق بالإيمان بالله ورسله والشرائع السماوية والسنن الإلهية ، حيث اختتمت إحدى عشرة آية بقوله تعالى : (وَلَـٰكنَّ أَكْثرَ ٱلنَّاس لاَ يَعْلَمُونَ) منها : قوله تعالى : (إن ٱلْحُكْمُ إلاَّ للَّه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إلاَّ إيَّاهُ ذَٰلكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكنَّ أَكْثرَ ٱلنَّاس لاَ يَعْلَمُونَ) [يوسف : ٤٠] ، أكثر الناس لا يعلمون أن الحكم لله في كل أمر من أمور ديننا ودنيانا ، ولا يعبد إلا إياه وحده لا شريك له ، وهذا هو الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ، الموصل إلى كل خير . وقوله تعالى : (فَأَقمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنيفاً فطْرَةَ ٱللَّه ٱلَّتى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْديلَ لخَلْق ٱللَّه ذَٰلكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكنَّ أَكْثرَ ٱلنَّاس لاَ يَعْلَمُونَ) [الروم : ٣٠] أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك الدين الذي ارتضاه لعباده هو الدين القيم ، الذي

* جمهورية مصر العربية .

فطر الناس عليه ، فبقاؤهم عليه وتمسكهم به تمسك بفطرة الله ، فالزموها ولا تبدلوا خلق الله . وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [سبأ : ٣٦] أكثر الناس لا يعلمون أن الله وحده هو الرزاق لعباده ، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء منهم ، لا لمحبة ولا لبغض ، ولكن يفعل ذلك لحكمة بالغة ، علمها من علمها ، وجهلها من جهلها . وقوله تعالى : (وَعْدَ ٱللَّهِ لاَ يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [الروم : ٦] أكثر الناس لا يعلمون أن وعد الله حق ، وأنه لا يخلف وعده ، فكل ما وعد الله به عباده المؤمنين وما توعد به غيرهم فهو آت تحقيقه حينما وكيفما يشاء الله . وقوله تعالى في سورة غافر الآية ٥٧ (لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) وقوله تعالى : (قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فيه وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [الجاثية : ٢٦] وقوله تعالى : (وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [النحل : ٣٨] فرغم وضوح أن أمر خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن الذي خلقهما مع ضخامتهما واتساعهما وعظمتهما ، لقادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ، ليحاسبهم ويجازيهم ، فمن أحياهم وأماتهم أول مرة ، لقادر على إحيائهم مرة ثانية يوم القيامة ، وأن وعد الله حق ببعث الأموات ، وإحيائهم بعد أن كانوا ترابا ، وجمعهم ليوم لا ريب فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأعراف : ١٨٧] أكثر الناس لا يعلمون عن الساعة ، فقد خفي علمها عنهم ، فعلمها عند الله وحده . وقوله تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [سبأ : ٢٨] أكثر الناس لا يعلمون أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام أرسل لكافة البشر بشيراً ونذيراً ورسالته عامة للناس أجمع . وقوله تعالى : (وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [يوسف : ٢١] ، أكثر الناس لا يعلمون إذا أراد الله شيئاً يغلب الناس عليه ، ويقهرهم على ما يريد ، وتتهيأ الظروف والأحوال ليقع أمر الله . وقوله تعالى : (وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُمْ مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا

عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [يوسف : ٦٨] أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء ، ومنها إلهام الله لأنبيائه وأصفيائه من العلم والمعرفة ، فسيدنا يعقوب عليه السلام كان صاحب علم عظيم من الله ، لا بحوله وقوته أدركه ، بل بفضل الله وتعليمه .

كما اختتمت خمس عشرة آية بقوله تعالى : (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) منها قوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [لقمان : ٢٥] أكثرهم لا يعلمون ، أن المنفرد بالخَلق والتدبير ، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد ، ولذلك أشركوا به . وقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الدخان : ٣٨ – ٣٩] أكثرهم لا يعلمون أنه سبحانه وتعالى لم يخلق السموات والأرض وما بينهما لعباً ، ما خلقهم إلا بالحق . وقوله تعالى : (أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [النمل : ٦١] أكثرهم لا يعلمون أنه تعالى هو الذي جعل الأرض قراراً يستقر عليها العباد ، فهو الذي دحاها وسواها ، وجعلها بهذه الطريقة البديعة ، ليتمكنوا من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب عليها ، وجعل خلالها أنهاراً ينتفع بها العباد في زرعهم وشربهم وشرب مواشيهم ، وجعل لها جبالاً ترسيها ، وتثبتها لئلا تميد وتضطرب ، وجعل بين البحرين المالح والعذب حاجزاً يمنع اختلاطهما ، فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما . وقوله تعالى : (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأنعام : ٣٧] ، أكثرهم لا يعلمون أن إنزال الآيات إنما يكون وفق حكمة الله تعالى وليس وفق ما يطالبون به ، كما يفيد أنهم لا يؤمنون حتى ولو جاءتهم الآيات التي اقترحوها ، لأن عدم إيمانهم ليس عن نقص في الدليل ، ولكنه عن تكبر وجحود . وقوله تعالى : (وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوۤاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [النحل : ١٠١] أكثرهم لا علم بربهم ولا بشرعه وأحكامه ، وإذا بدلنا آية بآية أخرى والله أعلم بمصلحة خلقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة ، قال الكفار : إنما أنت كاذب . وقوله تعالى : (أَلآ إِنَّ للَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [يونس : ٥٥] ، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة أن كل ما في السموات والأرض ملك لله تعالى ، لا شيئ من ذلك لأحد سواه ، ووعد الله بالبعث

والجزاء حق . وقوله تعالى في سورة القصص الآية ١٣ (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن وعد الله حق ، وأن الله لا يخلف وعده ، وهو كائن لا محالة ، وأكثرهم لا يعلمون حكم الله في أفعاله وعواقبها ، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر . وقوله تعالى : (أَمِ ٱتَّخَذُواْ من دُونه آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ) [الأنبياء : ٢٤] أكثرهم لا يعلمون الحق ، ولا يستطيعون التمييز بينه وبين الباطل ، فهم لذلك منصرفون عن الهدى ، متجهون إلى الضلال ، فمن جهل شيئاً عاداه . وقوله تعالى : (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوۤاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأنفال : ٣٤] أكثرهم لا يعلمون ، بأن لا ولاية لهم على المسجد الحرام ، وادعوا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به ، إنما أولياؤه الذين آمنوا بالله ورسوله ، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة ، وأخلصوا له الدين ، ويتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه . وقوله تعالى : (وَقَالُوۤاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [القصص : ٥٧] أكثرهم لا يعلمون أن المولى عز وجل جعلهم متمكنين في بلد آمن ، حرم على الناس سفك الدماء فيه ، يجلب إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه . وقوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٣١ (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلاۤ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيب الناس من خير أو شر إنما هو بقضاء الله وقدره ، وما يصيبهم من المصايب والبلايا ليس إلا بما كسبت أيديهم ، فينسبونه إلى غير الله ، فيقولون ما يقولون مما تمليه عليهم أهواؤهم وجهالاتهم . وقوله تعالى : (فَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الزمر : ٤٩] وأكثرهم لا يعلمون الفتنة التي يبتلي الله بها عباده ، فإذا أصاب الإنسان شدة وضر دعا ربه أن يفرج عنه ، وإذا كشف عنه ما أصابه وأعطاه الله من نعمه ، عاد بربه كافراً ولفضله منكراً ، وقال : إن الذي أوتيته إنما أوتيته بسبب علم ونبوغ عندي واستعدادي واجتهادي وتفوقي في مباشرة الأسباب التي توصل إلى الغنى والجاه ، بل الأمر ليس كما زعم ، إنما أعطاه الله على سبيل الابتلاء

والاختبار . وقوله تعالى : (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فيه شُرَكَآءُ مُتَشَاكسُونَ وَرَجُـلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَويَان مَثَلاً ٱلْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَـرُهُمْ لاَ يَعْلَمُـونَ) [الزمر : ٢٩] وقوله تعالى : (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ منَّا رزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفقُ منْهُ سرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ٱلْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَـرُهُمْ لاَ يَعْلَمُـونَ) [النحل : ٧٥] أكثرهم لا يعلمون حقيقة أن المشرك في حيرة وشك بينما المؤمن في راحة واطمئنان ، وقد ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لشركاء متنازعين فهو حيران في إرضائهم ، وعبداً خالصاً لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه هل يستويان مثلاً ؟ كما ضرب الله مثلاً لرجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً ورجلاً آخر حراً له مال حلال رزقه الله به يملك التصرف فيه ويعطي منه في الخفاء والعلن فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين . وقوله تعالى في سورة الطور آية ٤٧ (وَإِنَّ لِلَّـذينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلكَ وَلَـٰكنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن للظلمة عذاباً يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة ، وأن العذاب ينزل بهم من قتل وسبي وإخراج من الديار وجوع وقحط وأوجاع وسقام وبلايا وذهاب الأموال والأولاد ، يعذبون في الدنيا ويبتلون فيها بالمصايب لعلهم يرجعون وينيبون .

وأما بالنسبة لعلوم الدنيا فما زالوا وسيزالون لا يعلمون منها إلا القليل ، ولن يبلغوا من العلم منتهاه ، قال تعالى : (وَمَآ أُوتيتُم مِّنَ ٱلْعلْـمِ إِلاَّ قَليلاً) [الإسراء : ٨٥] ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

يعلمون كيفية معالجة الكثير من الأمراض ، وما زال يستعصي عليهم علاج البعض ، وما زلنا نرى ونسمع عن أمراض لم تكن موجودة من قبل ، أو كانت موجودة ، ولم يكن أحد يعلم بها ، وكلما قضوا على وباء ظهر آخر ، ولم يستطيعوا بما لديهم من علم تصور عالم خالٍ من الأمراض . وإذا كانوا على علم بقرب موت شخص وهو على سرير المرض وفي مرحلة متأخرة منه ، فليس لديهم علم بالموت الفجائي لمن هو بكامل عافيته وصحته وما زال في مقتبل العمر ويمارس ما اعتاد عليه في حياته ، أو بمن يلقي حتفه في حوادث الطرق والطائرات والقطارات وانهيار المباني والأعاصير والزلازل والحرائق . يعلمون أن بما لديهم من أسلحة فتاكة يمكنهم تدمير الكون كله في لحظات معدودة ، ومن يوم لآخر يستزادون منها ، ولكن لا يعلمون كيفية استخدامها في إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولا يعلمون كيفية إحياء نفس واحدة قتلت لأنس كانت

أو لحيوان أو طائر أو نبات . ولم ولن يخلقوا بذرة من العدم فضلاً عن أي كائناً من كان ، أو يصنعوا ورقة واحدة من أوراق أي نبات ودب الحياة فيها لتصير كما كانت عليه ، قال تعالى : (لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ) [الحج : ٧٣] لن يقدروا مجتمعين على خلق ذبابة واحدة على ضعفها وصغرها فكيف بخلق ما هو أكبر ؟ وإذا أخذ الذباب شيئاً مما عليهم من طيب وما أشبهه لم يقدروا على إنقاذه منه أو استرداده منه . يستطيعون معرفة نوع الجنين ذكراً كان أم أنثى في مراحل تكوينه النهائية في رحم أمه ، ولا يعرفون ذلك في بداية تكوينه عند دخول مني الرجل رحم المرأة ، حيث تتسابق الحيوانات المنوية على تلقيح البويضة ، فلا أحد يعلم أي هذه الحيوانات هو الذي أصاب البويضة ، وما يحمل هذا الحيوان من جينات تشكل مع جينات البويضة مواصفات الجنين ، ومن ثمة لا يعلمون المواصفات التي سيكون عليها بعد ولادته ، قال تعالى : (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً) [الشورى : ٤٩ – ٥٠] كما أن النطف التي تقذف في أرحام النساء هل هم الذين يخلقونها بشراً أم الله ؟ ومن الذي يفسد تحولها ؟ قال تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ) [الواقعة : ٥٨ – ٥٩] وقال تعالى في سورة المؤمنون آية ١٤ (ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ) كما لا يعلمون هل يتم الجنين مدته ويخرج إلى الدنيا أم يسقط ولا يكمل ، قال تعالى : (وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) [الرعد : ٨] . يعلمون آداب وبروتوكول ترتيب وتناول الأطعمة والأشربة ، ولكنهم لا يعلمون ما يحل وما يحرم منها ، كما أنهم يغفلون ولا يهتمون بمصدر أموالهم أهي حلال لا شبهة فيها ، أم نتيجة التجارة في المحرمات أو الودائع الربوية والرشاوى أم غيرهما من وسائل الكسب المحرمة . يعلمون كيفية استحداث وسائل الاتصال والتواصل بين الناس ولا يعلمون كيفية نشر التعارف والتآلف والتحاب بينهم ، قديماً كان أهل كل حي أو قرية يعرف بعضهم بعض ، ويجتمعون دائماً معاً في دور العبادة أو الضيافة أو الأماكن العامة ، وتجدهم جنباً بجنب في كافة المناسبات ، أما الآن في ظل وسائل التواصل فلا يعرف أي منا جاره في نفس المسكن والمساكن المجاورة . يعلمون كيفية الصعود إلى القمر والتنقل بين الكواكب ، ولا يستطيعون تغير مسرى أي منهم ، أو توقيف الأرض

عن حركتها ، أو تغير مطلع الشمس ومغربها ، أو حتى تغير المناخ والطقس في عالمنا ، وتحويل المناطق القارصة البرودة والتي تغطيها الثلوج إلى مناطق حارة أو العكس .

يعلمون كيفية حرث الأرض للزراعة وبذر البذور فيها وريها بالماء اللازم ، ويعملون على استنباط أصناف جديدة لمحاصيل موجودة ، ولكن لا يستطيعون إنبات كافة البذور المبذورة ، وبعد ما ينبت منها وتزدهر وتبدو عليها علامات النمو ، لا يستطيعون حمايتها من الآفات والأعاصير والعواصف والقوارض ، ومن إن تتلف وتتحول لهشيم لا ينتفع به ، قال تعالى : (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً) [الواقعة : ٦٣ – ٦٥] وتقوم الرياح بنقل حبوب اللقاح من ذكور النباتات للإناث لإتمام عملية التلقيح ، فهل يستطيعون إرسال هذه الرياح وتوجيهاً لجهة دون أخرى أو وقفها ومنعها ، قال تعالى : (وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) [الحجر : ٢٢] . يعلمون كيفية تحويل مجرى النهر ، وتحلية مياه البحر ، ولكن لا يعلمون كيفية إنزال الماء العذب من المزن ، على مكان ما ومنعه عن آخر ، ومن يدعي إنزاله للمطر فلينزله في الصحاري ، وليصنع منه أنهاراً في المناطق القابلة للاستصلاح ، وليمنع مواسم الجفاف عن المناطق الممطرة ، قال تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) [الواقعة : ٦٨ – ٧٠] كما لا يستطيعون إذابة جبال الجليد في المناطق القطبية وتحولها لأنهار .

وختاماً : قال تعالى (ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ ٱلْعِلْمِ) [النجم : ٣٠] كما أخبرنا القرآن الكريم ، حين يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها ، وعلى تسخير ما فيها بما يهوى لهم ، جاءها أمر الله وقضاءه بهلاك ما عليها ليلاً أم نهاراً كأن لم تكن بالأمس ، قال تعالى : (وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ) [يونس : ٢٤] وقال تعالى : (ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الحجر : ٣] ذرهم يأكلوا ويتمتعوا بلذاتهم ، ويؤملون البقاء في الدنيا ، فيلهيهم عن الآخرة ، فسوف يعلمون أن أعمالهم ذهبت حسرات عليهم ، فلا يغتروا بإمهال الله تعالى فهذه سنته في الأمم .

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي *

طاعته المطلقة :

فكما كان النبي صلى الله عليه وسلم مُطاعاً في حياته ، فهو مطاعٌ بعد وفاته ، ويتمثل اتباعه في اتباع شريعته . وكما كان تغيير رأيٍ من آرائه أو نسخ حكمٍ من أحكامه حسب الأهواء والمصالح والحاجات الشخصية يُعتبر عصياناً وبغياً وانحرافاً ، فقد أصبح ذلك بعد وفاته أشدَّ ضلالاً وانحرافاً عن دين الله تعالى .

يقول تعالى : (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) [الحجرات : ٧] .

وكان في حياته احتمال استشارة أصحابه واختيار آرائهم ، لذلك قال جل وعلا : (فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ) [الحجرات : ٧] .

ولكن بعد وفاته قد أُغلق هذا الباب من تغيير لرأيه ونسخ حكمٍ من أحكامه ، فلا سبيل لنا الآن لأن نتكلم في نص شرعي ثابت من ناحية التغيير .

فبقاء كل شيئ في مكانه من حيث هو ، ووضعه في محله بصورته الحقيقية ، والعمل به والدعوة إليه مسؤولية جسيمة تعود على الأمة المسلمة بصفة عامة ، وعلمائها بصفة خاصة .

ومن الفتن الجسيمة في هذا الزمان أن بعض العلماء المزعومين والطبقة المثقفة الذين لا يحملون ذرةً من علم القرآن والسنة يتكلمون في النصوص الشرعية ، ويبدون فيها آراءهم ، وكثيراً ما يُحرّفون فيها ويضعون معانيها في غير محلها حسب آرائهم ونظرياتهم .

فإذا سُلّمت آراؤهم في النصوص التي لا تحتاج إلى زيادة أو حذف أو تغيير ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة مطاع ، بل كان ذلك بمثابة ترجيح الرأي الشخصي على رأيه ، ولم يعد ذلك على جماعة

* معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء ، لكناؤ .

المسلمين إلا بالحيرة والاضطراب ، وأصبحت الشريعة نتيجة ذلك لعبةً يلعب بها كل من يريد ويديرها كيفما يشاء ، وأصبحت هي دون مقصدٍ بُعثت به ، لأن الآراء والنظريات كما نعرف تتغير كل يوم .

وقد أبان الله تعالى ذلك بالعنت ؛ يعني كلاً من المشقة والاختلال ، فيتيه الإنسان نتيجة ذلك في أودية من الضلال والحيرة والاضطراب ، لا يجد منها مخرجاً .

فلابد لكل فرد من أفراد الأمة أن يُقوي صلته بالشريعة ، ويُحب كل ما يمت إليها بصلة ، ويحتفظ بكل جزء من أجزائها ، وإن ذلك مسؤولية عظيمة على كواهل الأمة يجب أداؤها في كل زمن من الأزمان .

فإن الإنسان إذا وقع في حفرة من الظلام غاب عنه النور ، وصعب عليه الوصول إلى الطريق . يقول تبارك وتعالى : (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) [النور : ٤٠] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم في حياته مباشرةً كحكم ضروري قاطع ، واتباعه كان واجباً في كل حالٍ من الأحوال ، والانحراف عنه واتخاذ سبيل غير سبيله كان يُعد من علامات النفاق الفاحشة .

فكانت توجيهاته وأحكامه بمثابة الحكم القاطع للمسلمين ، حيث كان لابد لهم من العمل بها ، وقضاء حياتهم في ضوئها ، وامتثالها بانشراح الصدر وطمأنينة القلب في جميع الظروف والأحوال . فأكد الله سبحانه وتعالى قوله في الآية الشريفة بالقسم قائلاً : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء : ٦٥] .

ومهما كان سبب نزول الآية ، فإن الحكم الذي ورد فيها يشمل كل فردٍ وكل جماعةٍ وطبقةٍ من المسلمين ، ويمتد إلى يوم القيامة .

فسيرته الطيبة ، وتوجيهاته القيمة ، وسننه المباركة بمنزلة حكم قاطع يجب اتباعه للمسلمين أجمعين .

وإن افتراق الطبائع واختلاف الأفكار والآراء والنظريات لم يكن بدعاً من الأمر ، لكن إذا تطرقت إلى ذلك الأهواءُ والشهواتُ والمصالحُ الشخصية ، وصل الأمر إلى النزاع والشتائم والسباب ، وقد يبلغ الأمر إلى

القتال والنضال .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " سباب المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفرٌ " (صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ، رقم الحديث : ٤٨) .

والحديث جليٌّ واضحٌ ، يُبيّن خطورة الأمر ، ويتوعد من ينهضون فيما بينهم بالسب والشتم والحرب والقتال . ومع ذلك نجد من نعدّهم متدينين يصابون بهذا المرض القبيح السيئ ، ويفعلون هذه القبائح والشنائع ، ويحاولون أن يسدلوا عليها ستار الدين ، ويلجؤون لتحقيق أغراضهم ورغباتهم إلى كلمات الإطراء والمجاملة .

وتوجد هنالك طبقة أخرى تعصي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم علناً ، وتسعى للإضافة في العز والجاه والمال ، مستندة في ذلك إلى كل نوع من الأكاذيب والأقاويل ، وتطعن في أغراض الآخرين ، وتغتصب حقوقهم ، وتتنازع فيما بينها لأمور حقيرة تافهة .

فأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يجعلوا النبي صلى الله عليه وسلم حكماً في نزاعاتهم ، ثم يرضوا بحكمه ولا يشعروا منه بضيق ، فإن أحكامه وتعاليمه وتوجيهاته كلها حيَّة خالدة قاطعة هادية ، قد وعد الله بحفظها وبقائها على مر الأزمان .

فالحكم في الحقيقة حكمه في كل شأن من الشؤون ، صغيراً كان أو كبيراً ، عاديّاً كان أو هامّاً ، فرديّاً كان أو جماعيّاً ، يتعلق بنزاعات أسرية أو بخلافات اجتماعية .

فمن البيِّن أن سيرته وطريقته وتعاليمه وأحكامه لم تزل ولا تزال باقيةً قاطعةً تصلح لمسايرة الركب البشري في كل زمان ومكان .

فاعتباره حكماً في جميع الشؤون والقضايا من دلائل الإيمان .

فأكثر ما نحتاج إليه اليوم أن نصوغ فكرنا وطبيعتنا وفق فكر النبي صلى الله عليه وسلم ونظرته ومنهجه ، وندرس سيرته دراسة عميقة غائرة تحيط بجميع مناحي حياته ، ونزيل الخلافات والنزاعات في ضوئها ، فإن الإيمان دون ذلك مجرد ادعاء ، وليس من الحقيقة في شيئ .

إن الله سبحانه وتعالى وضّح أن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فحسب ، إنما هو أن يطمئن القلب والعقل بما يحكم به النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرضيان بما يأمر به .

والتعبير القرآني :

(وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء : ٦٥] واضحٌ جليٌّ في هذا المعنى ، وينادي بكل صراحة أنَ الإقرار اللساني وحده لا يكفي ، بل لابد من الخضوع والاستسلام والامتثال والانقياد بطواعية نفس .

وقد أبان الله سبحانه وتعالى في آية أخرى أن المؤمن والمؤمنة سلَّما أنفسهما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا خيار لهما إذا قضى الله ورسوله أمراً دون أن يطيعاهما ويمتثلاهما ، ومن عصى الله ورسوله واتخذ سبيل الغي والبعد عن أحكامهما ضلَّ عن الصراط السوي وفقد طريق الحق والصواب .

قال الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً) [الأحزاب : ٣٦] .

وقال في آية أخرى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [النساء : ٥٩] .

مقتضيات الإيمان :

وإن الأمر الذي يطلبه الإيمان هو الرجوع إلى أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنظر في توجيهاته ، والتكيف وفق تعاليمه ، والعمل بها في شأن العقيدة والعبادة والمعاملة والتجارة ، وفي مناسبة الزواج ، وفي مناسبة الفرح والحزن ، وفي أمر الاجتماع والسلوك مع الآخرين ، بل في كل شعبة من شعبها ، وفي كل مناسبة من مناسباتها .

فمهما تقتضي النفس ، ومهما تطلب التقاليد والأعراف ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون فوق كل شيئ ، وذلك في الواقع من متطلبات الإيمان ودلائله ، وأصبح لا يُقدَّر بأغلى ثمن .

هذا هو مجد كل مسلم ، وهذه هي هويته وسمته ، وهذه هي إرادة الله وحكمه .

فعرفنا أن من الحقوق الأساسية التي تعود على المسلمين تجاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يطيعوه ، ويعملوا بتعاليمه وتوجيهاته في كل مرحلة من مراحل الحياة ، وفي كل شعبة من شعبها . . . . .

(وللحديث بقية)

منهج النبيّ صلى اللّه عليه وسلم في التعامل مع الناس

(الحلقة الثانية الأخيرة)

إعداد : الأستاذ محمد إسحاق بن محمد عبد اللطيف*

تعامله – صلى اللّه عليه وسلم – مع الشباب :

لقد اختص الشباب بخصائص لم توجد في غيرهم ، والملاحظ أن أكثر من نصر الدعوة في بدايتها هم الشباب ؛ ذلك لما يتمتعون به من الطاقات المتقدة ، والحماسة المتفاعلة ، والعاطفة الجياشة ، والفؤاد الذكي ، والقلب النقي ، والقوة الفتية . وقد يتعرض الشباب لبعض المشاكل التي تنتج بسبب التغيرات التي تلحق بهم ، ولقد راعى النبي صلى اللّه عليه وسلم أحوال الشباب ، وخصهم بنصائح وتوجيهات :

أخرج البخاري في صحيحه [1] بسنده عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ : أَتَيْنَا النَّبِيَّ صلى اللّه عليه وسلم وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً ، فَقَالَ : ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ .

في هذا الحديث أراد النبيّ صلى اللّه عليه وسلم أن يؤنّس الشباب ، قال ابن حجر : عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس بقوله : لو رجعتم إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير . . . ، وفي الحديث فضل الهجرة والرحلة في طلب العلم ، وفضل التعليم وما كان صلى اللّه عليه وسلم من الشفقة [2] ، ومن ذلك شفقته صلى اللّه عليه وسلم بمن يخطئ أو من يخالف الحق ، وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب ، بألطف عبارة وأحسن إشارة ، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى .

* محاضر في قسم الدراسات الإسلامية ، بجامعة شيتاغونغ ، شيتاغونغ ، بنغلاديش، mdishaquecu@cu.ac.bd

[1] صحيح البخاري ، ج ٨ ، ص ١١ ، حديث رقم ٦٠٠٨ ، كتاب : بدء الوحي ، باب : الساعي على المسكين .

[2] انظر فتح الباري لابن حجر ، ج ٢ ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابّاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ . فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً . قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شيئ [1] .

لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان قليل الورع عديم الديانة لم ير أنه بحاجة للاستئذان بل كان يمارس ما يريد سراً ، فأدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخير فيه ، فما ذا كانت النتيجة : " فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيئ " .

هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم ينظر إلى الشاب على أنه معدوم الحياء ، فاقد للخير ، كما نظر إليه الصحابة ، بل تفهَّم حقيقة تلك النار المتقدة داخله . ولمس جانب الخير في هذا الشاب الذي يمكنه أن يمارس ما أراد في الخفاء ولكنه خاف الله . فتعامل معه النبي بمنطق العقل والحوار العقلي ، فأثابه إلى رشده . إنها الرحمة التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم أمته فهو الذي يقول : " إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتاً وَلا مُتَعَنِّتاً وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّراً " [2] .

وفي هذا الحديث نلمس عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسن تعليمه وتعامله في هذا الموقف . فهذا شاب يعلم ماذا يعني (الزنا)

---

[1] الشيباني ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ، مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، رقم الحديث : ٢٢٢١١ ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

[2] القشيري ، مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، رقم الحديث : ٢٧٠٣ ، ج ٧ ، ص ٤٣٩

ولذلك قال : يا رسول الله ! ائذن لي بالزنا ! ولا يخفى موقف الصحابة وغيرتهم الشديدة على دين الله رضي الله عنهم وأرضاهم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعامل ذلك الشاب بالزجر كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا قال له : إن الله حرم الزنا ورتب على ذلك وعيداً شديداً ، كل ذلك لم يفعله صلى الله عليه وسلم ، لأن هذه الأمور مستقرة لدى الشاب ومعلومة لديه . إذاً ، كان العلاج النبوي بالمحاورة والإقناع العقلي هو أنجح وسيلة لمثل هذه الحالة ، فتأمل هذه الوسيلة في التعليم يتبين لك عظمة المعلم الأول صلى الله عليه وسلم .

وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين ، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل ، كان يتمثل في ذلك صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل : (ادْعُ إِلَىَ سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . .) [1] ، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أُسيئ إليه يدفع بالتي هي أحسن ، يتمثل ويتخلق بقوله تعالى : (. . . ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقّاهَا إِلاّ الّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقّاهَآ إِلاّ ذُوحَظّ عَظِيم) [2] .

تعامله – صلى الله عليه وسلم – مع الأعراب :

لا بد للداعية من الصبر والحلم في التعامل مع الناس ، ولا يكون ذلك إلا بتقدير حالهم وواقعهم ، فقد عامل النبيّ صلى الله عليه وسلم الأعرابي باللين ، ومنع أصحابه من تعنيفه ، فكان لهذا الأسلوب بالغ الأثر في نفس الأعرابي . ولا يخفى على الداعية أن نفوس الناس مختلفة الطباع والمزاج تحب دائماً أن تكون هي المصيبة والمحقة ، فإذا ما بدا وظهر أنها أخطأت فإنها تدافع عن خطئها . . . حتى لا يظهر عجزها وزلتها . . . وهذا الخطأ لم يأت إلا بسبب أنهم قليلو التصور للإسلام لم يفهموا العمق الإسلامي بعد .

كما أخرج البخاريّ في صحيحه [3] بسنده عن أَبي هُرَيْرَةَ – رضي

---

[1] سورة النحل : الآية ١٢ .

[2] سورة فصلت : الآية : ٣٤ – ٣٥ .

[3] صحيح البخاري ، ج ١ ، ٨٩ ، حديث رقم ٢١٧ ، كتاب : الوضوء ، باب : صب الماء على البول في المسجد .

اللّه عنه – قَالَ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وسلم دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ ، أَو ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ .

ولقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يعامل الأعراب الذين يأتون من بعيد غير معاملة أصحابه الملازمين له ؛ لأنهم لم يتأدبوا ولم يتعلموا ، فيأمر بالتيسير عليهم ، فالجهل هو الذي أوقع الأعرابي في عمله ، ومن هنا كانت حالة تستوجب التعليم ، بل الرفق في التعليم . . . وهذا هو التيسير المراد بعداً عن التعنيف وحرصاً على إزالة المنكر ، وتعليم الجاهل ، ومراعاة لمآلات الأمور ونتائج الأفعال .

لقد راعى النبي صلى اللّه عليه وسلم أحوال هؤلاء الأعراب وتحمل أذاهم ، رغم قدرته على عقابهم . فقد أظهر بعض الأعراب جفاء وغلظة مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، لكن موقف النبي صلى اللّه عليه وسلم اتسم بالحلم والأناة ، والصبر على جفائهم ، وحسن الخلق وسعة الجود ، فكان مثالاً للمربي الذي يدرك أحوالهم ، وما جبلت عليه بيئتهم ، وطبيعة حياتهم من الخشونة والجفاء والأنانية .

فقد أخرج البخاري في صحيحه [1] بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم : وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ .

وأخرج البخاري في صحيحه [2] بسنده عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ جُبَيْرٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُو مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلاً مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم فَقَالَ : أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَو كَانَ عَدَدُ هَذِهِ

[1] نفس المصدر ، ج ٥ ، ٢٢٦٠ ، حديث رقم ٥٧٣٨ ، كتاب : الأدب ، باب : التبسّم والضحك .

[2] نفس المصدر ، ج ٣ ، ١١٤٧ ، حديث رقم ٢٩٧٩ ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبيّ صلى اللّه عليه وسلّم يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

الْعِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً ، وَلاَ كَذُوباً ، وَلاَ جَبَاناً .

تعامله صلى الله عليه وسلم مع أهل الذمة والمعاهدين :

إن الشريعة الإسلامية منهج شامل لكل ما يتعلق بمصالح البشر ، ولقد اهتمت هذه الشريعة بعلاقة العباد مع بعضهم البعض ، والنبي صلى الله عليه وسلم وضع لنا قواعد الحوار ومنهجية الاختلاف مع الآخر ، وضرب لنا أروع الأمثلة على التعايش مع الآخر ، حتى ولو كان على غير دينه ، وحتى لو اختلفت عادته وتقاليده عن ما نشأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم من عادات وتقاليد وأعراف .

والنبي صلى الله عليه وسلم تعايش مع ثقافات مختلفة ومع نوعيات وعقائد مختلفة بصدر رحب ودون أي محاولة منه للمسّ بهذه الثقافات .

ومن أمثلة ذلك ، تعايش النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود ، حيث عاش النبي معهم منذ قدومه إلى المدينة المنورة بكل سلام ، وكان يعاملهم بأخلاقيات الإسلام ، فيزور المريض منهم ، ويتحمل إساءة الجار اليهودي ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لاحترام إنسانية المسلم فحسب ، بل امتدت تعاليمه تلك لتشمل كل نفس ، وإن كانت على غير دين الإسلام . فها هو يقوم لجنازة يهودي حين تمر أمامه .

روى الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت عليه جنازة يهودي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم لها ، فقيل له : إنها جنازة يهودي فقال : " أليست نفساً ؟ " [1] نعم ، إن هذه نفس ، وإن كانت ليهودي على غير ديننا ، إلا أنها نفس بشرية يجب أن تحترم . ومنذ بداية وجود النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ظهر حرصه على عدم عداوة اليهود ، بل وقع معهم عهد جميل يدل على رغبة في العيش بسلام مع الطرف الآخر .

تعايش النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين :

رغم علم النبي صلى الله عليه وسلم بالمنافقين وأسمائهم ، ورغم علمه بخطورة المنافقين الذين يحاولون بث روح الهزيمة في صفوف المسلمين ، والعمل على انقسام المسلمين ، إلا أننا لم نر النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل معهم بانغلاق أو يرفض التعايش معهم ، بل كان صلى الله عليه وسلم يخالطهم ويتعامل معهم ويسمع منهم ، ولم يلجأ النبي صلى الله عليه

[1] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، رقم الحديث : ١٢٥٠ ، ج ١ ، ص ٤٤١ .

وسلم رغم قدرته على ذلك إلى استخدام القوة ضد هذا التيار ، كما لم يحرمهم النبي صلى الله عليه وسلم من أي من حقوقهم المدنية ، فكانوا يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة مثل المسلمين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمح لهم بأن يدلوا بآرائهم في قضايا المجتمع ، وأخذ نصيبهم من عطاء بيت المال .

هكذا ، من خلال تلك الومضات السريعة ، يمكننا أن نعلم كيف كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعايش مع من حوله بكل حب وسلامة صدر ، ودون حمل ضغائن أو كراهية ، وكيف كان يحث أتباعه من خلال سلوكه العملي وسنته الواقعية على التعايش والعيش بمنهجية الحوار الإيجابي البناء .

رحمته صلى الله عليه وسلم بالخدم :

كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالخدم ، يرعي مشاعرهم ، ويصفهم بالإخوة لنا ، ويعلم أنهم دوماً في حاجة إلى العطف وإلى الشعور بالرحمة ، فيمنحهم هذه الرحمة ، ما زجرهم النبيّ ولا قهرهم قط حتى كلمة التذمر لم يكن ينطق بها إن تعددت أخطاء خادمه . وقد أرشد النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " [1] .

ولم تكن هذه الوصايا التي يلقيها النبي صلى الله عليه وسلم علينا بمنأى عن تعامله مع خدمه ، فها هو الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي لنا كيف كانت رحلته في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم . يقول أنس : " خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ " [2] . هذه المشاهد الحية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تجعلنا ندرك كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على معاملة الناس معاملة كريمة ، حتى وإن كانوا أقل مرتبة منا ، فقد

---

[1] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، دار الشعب – القاهرة ، الطبعة : الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، رقم الحديث : ٢٥٤٥ ، ج ٩ ، ص ٢٧٤ .

[2] صحيح مسلم ، ج ١١ ، ص٤٤٢ ، رقم ٣١٣٥ ، كتاب : كِتَاب الْفَضَائِلِ ، باب : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا .

كان رسول المساواة يحث على احترام الخدم وعدم إهانتهم والرفق بهم .

رحمته صلى الله عليه وسلم بالأسارى :

حقوق الأسرى التي أقرتها المواثيق الدولية ، ما أُقرت إلا احتراماً لإنسانية الإنسان ورحمة به . والذي يغفل عنه العالم أن هذه الرحمة التي جاءت بها تلك المواثيق ، ما هي إلا نقطة في بحر الرحمة التي غمر بها رسولنا الرحيم أسراه ، الرفق بالأسرى والإحسان إليهم وإكرامهم ، توجيه نبوي وأمر أمر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله في أسرى غزوة بدر : " استوصوا بالأسارى خيراً " [1] .

وقال الحسن : " وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المحسنين ، فيقول : أحسن إليه ، فيكون عنده اليومين والثلاثة ، فيؤثره على نفسه " . وروي أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأصحابه في أسرى بني قريظة بعدما احترق النهار في يوم صائف : " أحسنوا لأسراكم وقيِّلوهم واسقوهم " . قيلوهم : أي ساعدوهم بالقيلولة وهي راحة نصف النهار عند حرّ الشمس . وقال : " لا تجمعوا عليهم حرّ هذا اليوم وحر السلاح " [2] . وذكر ابن كثير أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء " [3] . وقد ثبت أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم أخذ منهم الفدية في صورة تعليم الكتابة – فأدى بعض أسرى بدر على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة [4] .

كل هذه المشاهد العظيمة في التعامل مع الأسرى ، إن دلت على شيئ ، فإنما تدل على فيض من الرحمة ونبل الأخلاق في التعامل مع من

---

[1] الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، المعجم الكبير ، رقم الحديث : ١٨٤١١ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٨ .

[2] العيني ، بدر الدين ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج ٢٣ ، ص ١١٣ ، العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ ، ج ١ ، ص ٥٥١ .

[3] ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

[4] الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، ج ٥ ، ص ٦٥ .

جاءوا ليقتلونا ويشردوا صغارنا ، أين كانت القوانين الدولية التي وضعت منذ وقت قريب لحماية الأسرى ؟ أين هي من تلك الرحمة التي أفاض بها النبي صلى الله عليه وسلم على أسراه ؟!

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان :

لم تقف رحمة النبي صلى الله عليه وسلم عند حدود البشر ، بل امتدت رحمته لتشمل الحيوان الذي لا يملك لنفسه في الغالب شيئاً أمام قسوة الإنسان عليه ، فقد كان نبينا الرحيم صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ألا تنتهك حقوق الحيوان ، رحمة ورفقاً بهذا المخلوق الذي لا حول له ولا قوة أمام قدرة البشر . فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق في ذبح الحيوان والإحسان إليه في ذلك ، وقال لمن أضجع شاة وهو يحد شفرته : " أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟ هَلاَ حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا ! " [1] .

وعن أبي يعلَى شدَّاد بن أَوس رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ اللَّه كَتَبَ الإِحسَان على كُلِّ شيءٍ ، فإذا قَتلتُم فَأَحسِنُوا القِتْلَةَ وَإِذَا ذَبحتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحة وليُحِدَّ أَحَدُكم شَفْرَتَه وَليُرِحْ ذَبِيحَتَهُ " [2] .

ومن خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يمكن لأي عاقل أن يلمح هذه الدعوة الصريحة للرفق والرحمة بالحيوان . فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِى هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلَمْ تُطْعِمْهَا ، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خِشَاشِ الأَرْضِ " [3] .

وعن أبي هريرة رَضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ

---

[1] الحاكم ، أبو عبد الله ، المستدرك على الصحيحين ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧هـ ، ج ٤ ، ص ٢٣١ .

[2] صحيح مسلم ، ج ٦ ، ص ٧٢ ، رقم ٥١٦٧ ، باب : باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة .

[3] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، رقم الحديث : ٢٣٣٤ ، ج ٢ ، ص ٨٧٠ .

الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَهُ مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللّٰهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَه . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ! وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْراً ؟ فَقَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "[1] .

هذه الرحمة التي امتدت لتشمل الحيوان ، تجعلنا نحترم هذا الرجل العظيم الذي حازت الرحمة نصيباً كبيراً من شخصيته .

الخاتمة :

هذا ما يسّر اللّٰه لي جمعه من آداب تعاملات النبيّ صلى اللّٰه عليه وسلم مع الناس في هذا المبحث المتواضع ، ولا شك أن هناك مواقفَ كثيرة غير ما ذكرت ، لا يمكن حصرها في مبحث ولا مبحثين ، ولكن لعلي أكون قد أشرت إلى بعض أهم المواقف في حياته – عليه الصلاة والسلام – وعرفت كيف كان خلقه صلى اللّٰه عليه وسلم – بأبي هو وأمي – مع الناس بأصنافهم المختلفة . . . ، وعرفت كيف تعامل صلى اللّٰه عليه وسلم معهم وكيف كانت صفاته تجاههم ، ولا غرابة في تعامل النبي صلى اللّٰه عليه وسلم مع الناس بهذه الصورة لأنه هو القدوة المُثلى والإمامُ الأعظم ، إنه الذي أرسله اللّٰه رحمةً للناس . . . وهو الذي اكتسب أفئدة الناس بأخلاقه الجميلة وآدابه النبيلة وأقنعوهم باعتناق الإسلام عن محبة وطمأنينة مما سبَّب تَمكّن الدين من القلوب والإقبال عليه بصدق ورغبة ؛ فمن واجب الأمة الآن أن تخاطب الأمم بلغاتها ، ومن خلال ثقافاتها وحضاراتها ، وأن تراعي تغيرات الأفهام ، وتبدلات الأعصار ، واختلاف الوسائل ، والتباس المسائل ، فتكشف الغيوم الداكنة بشمس الحقائق الساطعة ، وتكنس الأوهام المتراكمة ، بالحجج النيرة والبراهين الميسَّرة عن سيرة وشخصية وحياة سيدنا محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأن تخاطب بذلك الناس جميعاً ، بمختلف بلدانهم وعقولهم ولغاتهم ، وأن تحشد لذلك كل الإمكانات العقلية والفكرية والسياسية والإعلامية والمادية .

فنسألُ اللّٰه – سبحانه وتعالى – أن يجعلنا نتخلق بأخلاقه الفاضلة ونتأسى بأسوته الحسنة ويحشرنا معه في الجنة وييسّر لنا أمورنا ، إنه ولي ذلك والقادرُ عليه ، وصلى اللّٰه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

[1] المصدر نفسه ، رقم الحديث : ٣١٤٠ ، ج ٣ ، ص ١٢٠٥ .

سمو القيم الإنسانية تحت راية التعاليم الإسلامية

د . عبد الناصر ، تي *

المقدمة :

القيم الإنسانية هي المبادئ التي تبني المجتمعات السليمة وتنظم العلاقات لتحقيق العدالة والتكافل . الإسلام وضع أسساً لحفظ كرامة الإنسان ، كما ركز القرآن والسنة على تعزيز القيم الإنسانية . جاءت التعاليم الإسلامية لتؤكد أن الإنسان مكرّم ومميز عن باقي المخلوقات ، إذ قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [1] . هذا التكريم ليس مجرد ميزة ، بل هو مسؤولية تستدعي من الإنسان الالتزام بالقيم التي تحقق الخير له ولغيره من أفراد المجتمع . فالقيم الإنسانية في الإسلام ليست اختيارية ، بل هي جزء لا يتجزأ من العقيدة والمعاملات اليومية .

الإسلام ، بمنهجه الرباني ، يضع نظاماً محكماً وشاملاً يُعنى بتنظيم حياة الإنسان من جميع النواحي ، جامعاً بين تعاليم العقيدة والأخلاقيات ، ليخلق مجتمعاً متماسكاً ومزدهراً . وهذا النظام يشتمل على العدالة ، والرحمة ، والمساواة ، والحرية ، وهي قيم تساهم في بناء مجتمع قوي يسوده الاحترام المتبادل والتعاون . ومن خلال هذه المبادئ ، يقدم الإسلام نموذجاً حضارياً يدعو إلى التعايش السلمي بين البشر .

تتناول هذه المقالة أبرز القيم الإنسانية في الإسلام ، موضحة كيفية تطبيقها وتأثيرها في تحقيق الانسجام المجتمعي . كما سيتم توضيح دور القيم الإسلامية في تحقيق السعادة الفردية والجماعية ، مما يجعلها قاعدة أساسية للنهوض بالحضارات وتحقيق التنمية الشاملة .

أسس الإنسانية في ضوء الشريعة الإسلامية :

تشكل الإنسانية في الإسلام جوهر الرسالة الإلهية التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث تركز على إعلاء قيم الكرامة والعدالة والرحمة كأسس الحياة . عبر القرآن والسنة ، يقدم الإسلام رؤية شاملة تربط الإنسان بربه وبمجتمعه .

القرآن الكريم يوضح في الآية (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) أن الإنسان

* أستاذ مساعد ، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات ، مونغم .

[1] سورة الإسراء : ٧٠ .

مخلوق مكرّم من الله ، مُنح قدرات عقليةً وروحيةً تجعله فريداً . هذا التكريم يشمل جميع البشر دون أي تفرقة على أساس الدين أو العرق أو اللون ، ويُعزّز مبدأ المساواة بين الناس .

تُعد السنة النبوية ركيزة أساسيةً في بناء تصورات الإنسانية في الإسلام . وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثالاً حياً للتعامل الإنساني مع الجميع ، بما في ذلك الأعداء . قال صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [1] . كما كان يوصي بالرحمة والرفق ، فقال : " الراحمون يرحمهم الرحمن " [2] . تبين هذه الأحاديث أن الإنسانية في الإسلام ترتبط بالرحمة ، والعدل ، والتسامح .

الإنسانية في الإسلام هي منظومة شاملة تضع الإنسان في مكانة مميزة كمخلوق مكرّم ومسؤول . من خلال تعاليم القرآن والسنة ، يُقدم الإسلام نموذجاً مثالياً للإنسانية يقوم على العدالة ، والرحمة ، والتكافل . فالالتزام بهذه القيم ليس فقط وسيلة لبناء مجتمع متين ، بل هو أيضاً رسالة سلام ومحبة للعالم أجمع .

الضوابط الإسلامية في فنون التعامل مع الناس :

معاملة الناس بالاحترام : معاملة الناس جميعاً بالاحترام هي الأساسُ الثابتُ في الشريعة الإسلامية السمحة . هذه القاعدة تعكس جوهر الإسلام في التعامل مع الآخرين باللطف والإنصاف . قال الله تعالى : (لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) [3] هذه الآية الكريمة تضع ضابطاً ذهبياً للتعامل مع غير المسلمين تقوم على البرّ والعدل .

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (المتوفى ١٩٥٦م) في تفسير هذه الآية : " لا ينهاكم الله عن البر والصلة ، والمكافأة بالمعروف ، والقسط للمشركين ، من أقاربكم وغيرهم ، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم ، فليس عليكم جناح أن تصلوهم ، فإن صلتهم في هذه الحالة ، لا محذور فيها ولا مفسدة " [4] . فالله تعالى لا يمنع المسلمين من الإحسان إلى من لم

---

[2] رواه البيهقي .

[3] رواه الترمذي .

[3] الممتحنة : ٨ .

[4] عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، الجزء الثاني ، ص ١١٩٣ .

يعادِهم ، بل يأمرهم بالتعامل معهم بلطف وعدالة ، مما يعكس سماحة الإسلام .

البرّ والإحسان كقيم إنسانية : الإسلام دين الرحمة والعدل ، ويشجع على البر والإحسان في جميع شؤون الحياة . فالإحسان إلى الوالدين والأقارب والجيران ، ومساعدة المحتاجين ، كلها أعمال صالحة تقرب العبد من ربه وتنشر المحبة والسلام في المجتمع . كما قال الله عز وجل : (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فَلاَ تُطعْهُمَا وَصَاحبْهُمَا فى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً) [1] . و (وَبِٱلْوَالدَيْنِ إِحْسَاناً) [2] . الإسلام يدعو إلى الإحسان والعدل في المعاملات كلها . قال تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَان) [3] ، وقال أيضاً : (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَان) [4] .

عظمة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين : إنّ دين الله يحرض على البرّ والقسط في معاملة غير المسلمين المسالمين ، وهما من أعلى القيم الإنسانية . والبرّ يشمل الخير الواسع الذي يُظهر صدق الإنسان في تعامله . بهذا ، يتضح أن الإسلام ليس فقط دين عبادة ، بل منهج حياة يُعزز العلاقات الإنسانية على أساس من الرحمة والعدل والإحسان .

الإسلام نظام العدالة الإنسانية :

قد بلغت الشريعة الإسلامية أوج السمو عندما قررت حرية العقيدة للناس ، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، كما تكفلت بحماية هذه الحرية لغير المسلمين في ديار الإسلام . يبلغ الإنسان أرقى درجات النبل والحق حين يُشَرِّع العدالة بالتساوي بين المسلمين وغير المسلمين على حد سواء . كما ورد في الحديث : " ألا مَن ظلمَ مُعاهداً ، أو انتقصَهُ ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ ، أو أخذَ منهُ شيئاً بغَيرِ طيبِ نفسٍ ، فأنَا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ " [5] . ولم تكتفِ الشريعة بذلك ، بل أمرت بإقامة موازين القسط بين المسلمين وأعدائهم ، فلا يجوز ظلم الأعداء أو الاعتداء عليهم بغير حق ، كما قال الله تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدلُواْ ٱعْدلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [6] . فكان العدل قاعدة تشريعاته ومنهجه في إصلاح القلوب

---

[1] لقمان : ١٥ .
[2] البقرة : ٨٣ .
[3] النحل : ٩٠ .
[4] المائدة : ٢ .
[5] سنن أبي داود .
[6] المائدة : ٨ .

والمجتمعات . وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع مثال في العدل ، حينما قال : " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [1] .

الوفاء لا الخيانة – أسمى قيم الإسلام :

الوفاء هو سر التعايش السلمي ، إنه قيمة لا بديل لها ، فبفضلها تتعايش الأمم والمجتمعات بسلام . وإذا فقدت هذه القيمة ، انهارت روابط الاجتماع وسادت الفوضى والحروب في المجتمع الإنساني . نعيش في زمن تنقض فيه الدول الكبرى عهودها ، وتغش الدول الاستعمارية وتفتتها ، ولا تفي بالتزاماتها . وكذلك الحال مع الشركات والأفراد والجماعات . ولحل هذه المشكلة المرهقة ، أتى القرآن الكريم بقاعدة عامة : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ) [2] .

وتطبيقاً لهذه القاعدة ، يجب على المسلم الوفاء بالعهود والمواثيق مع غير المسلمين أيضاً ، مثل عقد الجزية ، وعقد المواطنة ، والعقود التجارية والبيع والشراء والإجارة ، والمعاهدات الدولية . وقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم عهوداً مع اليهود في المدينة المنورة ، ولكنهم نقضوها وخانوها . كما عقد عهداً مع حاكم أيلة النصراني ، ووُفي به المسلمون .

قال صاحب تفسير " في ظلال القرآن " رحمه الله : " لا بد من ضَوابط للحياة . . حياةِ المرءِ مع نفسهِ التي بين جَنْبَيه ، وحياتِه مع غيرِه من الناس ، ومن الأحياءِ والأشياء عامة . الناس من الأقربين والأبعَدين ، من الأهْلِ والعشيرةِ ، ومن الجماعة والأمة ومن الأصدقاء والأعداء ، والأحياءِ مما سَخَّرَ اللّه للإنسان ، والأشياءِ مما يُحيطُ بالإنسان في هذا الكونِ العريض . . . ثم . . . . . حياتُه مع ربِّه ومولاه ، وعلاقَتُه به هي أساسُ كلِّ حياةٍ [3] .

الإسلام دين الرحمة على الأسرى :

الإسلام هو دين الرحمة التي تشمل الجميع بلا استثناء ، فالرحمة في الإسلام ليست مجرد لفظ ، بل هي جوهر دينه وشريعته ، كما يؤكد القرآن الكريم : (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [4] . ومن مظاهر هذه الرحمة ، أن الله سبحانه وتعالى جعلَ إطعام الأسير قربة إلى الله ، حتى في أوقات شح الطعام واحتياج المسلمين له . يقول الله مؤيداً لهذا المبدأ :

---

[1] متفق عليه .

[2] المائدة : ١ .

[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الثاني ، دار الشروق ، بيروت ، ص ٨٣٥ .

[4] الأعراف : ١٥٦ .

(وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) [1] . الإسلام بذلك يتقدم على جميعَ المواثيق الدولية ومَعَاهدَات حَقوق الإنسان الحديثة .

يحكي أبو عزيز بن عمير ، أحد أسرى بدر : " كنتُ في جماعة من الأنصار ، وكانوا يقدمون لي الخبز رغم قلته ، بينما يكتفون هم بالتمر " . ويقول أبو العاص بن الربيع : " كان الأنصار يفضلونني بالخبز على أنفسهم ، وهو قليل عندهم ، ويكتفون بأكل التمر " . هذه المواقف العظيمة تظهر القيم الإنسانية والأخلاقية الرفيعة التي غرسها الإسلام ، حيث تجاوز الصحابة رضوان الله عليهم مبدأ العدالة إلى مبدأ الإيثار ، مقدمين أفضل ما لديهم للأسرى . لو اكتفوا بمعاملة الأسرى بمساواة تامة ، لكانوا قد بلغوا مستوى عظيماً من العدالة ، ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى التضحية والإيثار ، مما يضعهم في القمة العليا للأخلاق الإنسانية .

الإسلام دين القيم والمبادئ العليا :

الإسلام هو دين مكارم الأخلاق والقيم السامية ، كما جاء في الحديث الشريف : " إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق " [2] . وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم : " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا " [3] ، مما يدل على أن من كان يتمتع بأخلاق راقية في الجاهلية يكون أكثر قدراً ومكانة بعد الإسلام إذا فهم تعاليمه .

الإسلام جاء للحفاظ على مصالح الإنسان الأساسية ، مثل الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، سواء من جانب الوجود أو الحماية من الزوال . يظهر ذلك بوضوح في الحوار التاريخي بين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والملك النجاشي بالحبشة ، حينما سأله النجاشي عن سبب تركهم لقومهم ، أجابه جعفر قائلاً : " كنا قوماً في الجاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، . . . . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء . . . . . " [4] .

---

[1] الإنسان : ٨ .

[2] البيهقي في شعب الإيمان .

[3] صحيح البخاري .

[4] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، قصص النّبيين للأطفال ، الجزء الخامس ، مكتبة الندوة التجارية ، ص ٥٥ ، وصحيح دلائل النبوة .

الإسلام : دعوة للوحدة الإنسانية لا للتمييز والتفرقة :

يدعو الإسلام إلى تحرير الإنسان من عبودية البشر إلى عبادة الله وحده ، ومن ظلم الأديان إلى عدالة الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى رحابة الآخرة . وهذا هو جوهر رسالة الإسلام وخلاصتها .

المجتمعات البشرية تختلف في مستويات التقدم والارتقاء بناءً على مدى تحقيقها للمقومات الإنسانية ، مثل حماية الأرواح والأعراض ، وصيانة العقول والأموال ، وتحقيق الكرامة ، وضمان حقوق الإنسان والكائنات الحية ، والحفاظ على البيئة . هذه الحقوق ليست مقصورة على فئة معينة ، بل هي حقوق لكل فرد ، ويجب على الحكومات الرشيدة حماية هذه الحقوق وتعزيزها ومنع أي انتهاك لها . لكن هذا لا يتحقق إلا من خلال التربية الإيمانية ومواجهة عوامل الشر والفساد التي تهدد المجتمعات ، مثل القتل ، والتعذيب ، والسرقة ، ونشر الفساد الأخلاقي ، والاعتداء على كرامة الإنسان ، والإساءة إلى الشرائع السماوية والأديان .

وضع النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع ، أساس الوحدة الإنسانية بقوله : " أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . . . . . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد "[1] . ويؤكد القرآن الكريم ذلك بقوله : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[2] .

الإسلام ضد التمييز العنصري :

الإسلام ينفي أي شكل من أشكال التمييز العنصري أو العصبية القبلية ، من حيث لا فضل لأحد على الآخر بسبب جنسه أو لونه أو لغته ، وإنما يكون التفضيل على أساس التقوى والعمل الصالح . بهذا المفهوم ، يزيل الإسلام الحواجز بين البشر ويوحدهم تحت راية الإنسانية المحضة .

فلا يُتهم الإسلام بالتمييز الجاهلي أو الفطري ، بل يميز بين الصالح والطالح ، وبين المصلح والمفسد ، وبين التقي والفاجر . فهو دين قائم على العدل ، يمنح كل إنسان حقه دون تحيز أو ظلم .

فالحديث عن رحمة الإسلام ومحاسنه لا حدود له ، فهو دين

---

[1] الشيخ محمد الخضري ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤٥ ، وكنز العمّال للعلّامة المتقي الهندي .

[2] الحجرات : ١٣ .

يعترف بكرامة الإنسان ويحرره من القيود التي فرضته عليه الأديان أو المجتمعات السابقة . وجاء الإسلام ليخفف عن الناس أعباءهم ويزيل الأغلال التي كانت تثقل كواهلهم .

الخاتمة :

في ضوء التعاليم الإسلامية ، تظهر القيم الإنسانية كجوهر أساسي في بناء مجتمع عادل ورزين . يدعو الإسلام إلى تحرير الإنسان من التمييز والظلم ، ويعزز مبادئ المساواة والعدالة ، مُؤكداً على أن أفضل الناس عند الله هم الأكثر تقوى ، بغض النظر عن عرقهم أو لونهم . وتُعد هذه القيم مبادئ أساسية تساهم في بناء مجتمعات تسود فيها المحبة والتسامح ، حيث تتكاتف جهود الأفراد من جميع الطوائف لتحقيق الخير والرفاهية للبشرية جمعاء .

فإن التعاليم الإسلامية تُظهر أن الحفاظ على حقوق الإنسان وحمايتها هو مسؤولية جماعية لا تقتصر على فئة معينة ، بل هي مسؤولية المجتمع ككل . الإسلام يضمن حقوق الإنسان ، سواء في حياته أو ممتلكاته أو كرامته ، ويحث على حماية البيئة والحفاظ عليها . ومن خلال ذلك ، يمكننا بناء عالم يسوده التعاون والاحترام المتبادل بين الناس ، مما يساهم في تحقيق التقدم والازدهار للجميع .

ويتضح أن الإسلام لم يكتفِ بتعزيز القيم الإنسانية في حياة الأفراد ، بل كان قوة محرّكة لإصلاح المجتمعات وتطهيرها من الفساد الأخلاقي والإجتماعي . لقد تفوق الإسلام على المفاهيم الإنسانية الحديثة ، واضعاً أسساً رفيعة لكرامة الإنسان ، ومؤكداً قيم التضامن ، الرحمة ، والعدل بين البشر .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. صحيح البخاري .
٣. صحيح مسلم .
٤. سنن أبي داود .
٥. سنن الترمذي .
٦. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير .
٧. سيد قطب ، في ظلال القرآن .
٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان .
٩. الشيخ محمد الخضري ، نور اليقين في سيد المرسلين .
١٠. أبو الحسن علي الحسني الندوي ، قصص النّبيين للأطفال .

سؤال المصلحة في الفكر المقاصدي الإسلامي

الدكتور علي رابحي*

من بين ما تتميز به الشريعة الإسلامية أنها تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفاسد ، والمصلحة نسبية ، لذا وجب الرجوع فيها إلى الشرع العادل ، والمصالح على ثلاثة أقسام :

مصالح معتبرة : وهي المصالح التي شرع الشارع أحكاماً لتحقيقها ، ولها شواهد من القرآن والسنة أو الأحكام الشرعية ككل تدل على اعتبارها عللاً لما شرعه . مثل حفظ الحياة ، وحفظ العقل وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وحفظ الدين . من طرف الشرع .

مصالح ملغاة : وهي المصالح التي دلت نصوص الشارع على إلغائها وتحريمها أو بطلانها . قد يعتبرها البعض مصالح ، ولكنها شرعا ملغاة بشواهد من أحكام الشرع ، لأن الله حرمها . فكل ما حرم الله لا يمكن أن يكون موضوع مصلحة ، لأن الشرع ما حرمه إلا لأنه مفسدة في ذاته أو يؤدي إلى مفسدة ، مثال ذلك : حرم الله الخمر ، ولا أحد يمكن أن ينكر مضرته .

المصالح المرسلة : ليست معتبرةً ولا ملغاةً لغياب الشواهد الشرعية الصريحة بخصوصها ، فيدخل الاجتهاد في تحديد هذا الأمر .

وهذه المصالح التي يهدف الشرع لجلبها للإنسان هي على مراتب :

- الضروريات : التي لا بد منها في حياة الإنسان .
- والحاجيات : وهي التي فقدانها يوقع في الحرج والضيق .
- والتحسينات : التي إن فاتت لا يحس الإنسان بضيق أو حرج .

والضروريات الخمس هي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

وأيد الشرع هذه الضروريات بأحكام تهدف إلى صيانتها وحفظها .

مقاصد الشريعة هي إتيان المصالح وإصابتها بدقة لا تحيد عنها ، وتبيينها ، والتوجه نحوها ، وطلبها بعينها بالعدل والاعتدال والوسطية . يقول الإمام ابن تيمية : " المقاصد والأفعال هي في الأقوال عللها التي هي غاياتها ونهاياتها " . وعرفها القرضاوي بأنها : " الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات ، وتسعى الأحكام الجزئية إلى

* باحث في الفكر الإسلامي والحضارة ، المغرب الأقصى .

تحقيقها في حياة المكلفين أفراداً وأسراً وجماعات " . وفرق القرضاوي بين المقاصد والعلل ، فالمقاصد هي العلل التي تطلب من وراء تشريع الأحكام ، وليس المراد بالمقاصد العلل التي ذكرها الأصوليون في مبحث القياس ، وعرفوها بالوصف الظاهر المنضبط المناسب للحكم ، فالعلة سبب للحكم ، وليست مقصداً له .

ومثال ذلك . رخصت الشريعة للمسافر القصر والجمع في الصلاة والفطر في رمضان ، فالعلة هي السفر ، والمقصد هو مراعاة المشقة الغير المعتادة التي يتعرض لها المسافر . وربط العلماء الحكم بالعلة ، ولم يربطوه بالمقصد لصعوبة ضبطه . فالناس متفاوتون في الشعور بالمشقة ، ومنهم من يتورع رغم شدة المشقة ، وآخر سيقصر ويفطر بأدنى شيئ من المشقة . وهكذا يميل القرضاوي إلى اعتبار الحكم في الأحكام إذا تبينت ، ويطلق عليها " حكمة الشريعة " أي العلة الغائية التي وراء الحكم . ويورد أيضاً طريقتين للوصول إلى المقاصد ، الأولى تتبع النصوص التي جاءت بتعليلات في القرآن والسنة لنعرف منها مقاصد الإسلام وأهدافه . والثانية استقراء الأحكام الجزئية وتتبعها والتأمل فيها وضم بعضها إلى بعض ، حتى نصل إلى مقصد كلي ؛ خلافاً لرؤى الظاهرية والمعطلة الجدد .

الظاهرية الجدد هم امتداد لظاهرية ابن حزم التي أنكرت تعليل الأحكام ، بل قالوا بأن الله كان يمكن أن يأمرنا بما نهانا عنه ، وينهانا عما أمرنا به . ويركز الظاهرية الجدد اهتمامهم بالنصوص الجزئية ، وفهمها فهماً حرفياً بمعزل عن مقاصد الشرع منها ، فورثوا من أسلافهم الجمود ، ولم يرثوا منهم سعة علمهم بالحديث . وهؤلاء رغم تعبدهم وإخلاصهم إلا أنهم يسيئون إلى الإسلام من خلال مواقفهم الواضحة من المرأة والأسرة وقضايا الثقافة وحقوق الإنسان والعلاقة بين المسلمين . وهذه المدرسة تتميز بخصائص وسمات منها : حرفية الفهم والتفسير ، والميل إلى التشدد والتعسير ، والإنكار بشدة على المخالفين وتجريحهم ، وعدم مبالاتهم بإثارة الفتن الدينية والمذهبية . ومرتكزات الظاهرية الجدد هي الأخذ بظواهر النصوص دون التأمل في معانيها وعللها ومقصدها ، وإنكار تعليل الأحكام بعقول الناس واجتهاداتهم ، واتهامهم الرأي ، بل يدينونه ، ولا يرون استخدامه في فهم النصوص وتعليلها ، وينهجون عامة نهج التشدد في الأحكام . ومن نتائج هذه المدرسة ومواقفها الفقهية إسقاط الثمنية عن النقود الورقية ، وإسقاط الزكاة عن أموال التجارة ، والإصرار على إخراج زكاة الفطر من الأطعمة ، وتحريم التصوير

الفوتوغرافي والتلفزيون .

أما المعطلة الجدد فيزعمون أنهم يهتمون بمقاصد الشريعة وروح الدين ، معطلين بذلك نصوص القرآن والسنة ، مدعين أن الدين جوهر لا شكل ، فهم لا يعرفون صحيح الحديث من ضعيفه ، ويتأولون القرآن ، ويتمسكون بالمتشابهات منه ، ويعرضون عن المحكمات . يعتبرون أنفسهم أدعياء التجديد ، وفي الواقع هم دعاة التغريب . فمن الممكن عندهم أن يمنع الطلاق ، ويحرم تعدد الزوجات ، ويباح الخمر ، وتعطل الحدود والعقوبات باسم مراعاة مصالح الخلق . منهم جماعة ظهرت تدعي المعرفة بالقرآن ، فتفسره بهواها ، دون الرجوع لتفسير نبوي ، ولا قول صحابي ، ولا رأي تابعي . ومن مميزاتها جهلها بالشريعة ، وجرأتها على القول بدون علم ، وتبعيتها العمياء للغرب . وترتكز هذه المدرسة على إعلاء منطق العقل على منطق الوحي ، وادعاؤها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إمامها في تعطيل النصوص افتراء عليه ، وتعتمد على مقولة : " حيث توجد المصلحة فتم شرع الله " المنسوبة إلى الإمام ابن القيم ، والحق أنه كان يتكلم عن العدل ، ولم يذكر المصلحة ، فقال : " إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات العدل فتم شرع الله ودينه " .

مقاصد الشريعة لا تخرج عن حفظ الضروريات الخمس العامة للشريعة الإسلامية وتحقيق المقاصد الثابتة في جميع الملل والنحل كما نص عليها الغزالي في المستصفى ، والرازي في المحصول ، والآمدي في إحكام الأحكام في أصول الأحكام ، وغالب الأصوليين ، وهي : الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال .

تنقسم مقاصد الشريعة إلى أقسام عدة ، باعتبارات متعددة ، نذكر منها باعتبار العموم والخصوص ، المقاصد العامة وهي ما راعاه الشارع في أحكام الشريعة عامة من حِكَم ومقاصد تجتمع عليها جميع الأدلة أو أكثرها . والمقاصد الخاصة وهي الحِكَم أو العلل التي قصدها الشارع في كل حُكم من الأحكام . وما يهمنا بسطه بالتفصيل في هذا البحث أقسامها باعتبار المصالح التي جاءت بالمحافظة عليها ، وهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : المصالح الضرورية :

المصالح الضرورية هي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد

وتهارج وفوت حياة ، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين .

والمصالح الضرورية بهذا المفهوم لا يستقيم نظام الأمة وأفرادها إلا بتحصيلها ، بحيث إذا انخرمت تؤول حال الأمة إلى الفساد ، ولا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها . وحصر أغلب القدماء الضروريات في خمس أصول ، هي : " حفظ الدين ، والنفس ، والمال ، والعقل ، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة " . وأضاف بعضهم مقصد حفظ العرض . وتوسع المحدثون في أنواعها ، فأضاف بعضهم مقصد حفظ البيئة .

ثانياً : المصالح الحاجية :

المصالح الحاجية هي ما كان مفتقراً إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة .

والمقصود من المقاصد الحاجية رفع الحرج عن المكلفين ، وحماية الضروريات وخدمتها ، وذلك بتحقيق صلاحها وكمالها .

ثالثا : المصالح التحسينية :

المصالح التحسينية هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق . والمقاصد التحسينية حامية للمقاصد الحاجية ، وخادمة للمقاصد الحاجية والضرورية .

فالمقاصد الحاجية والتحسينية يقصد منها بالدرجة الأولى حماية المقاصد الضرورية والحفاظ عليها ، إما مقدمة لها ، أو مقارنة لها .

والمحافظة على هذه المقاصد يكون بأمرين : أحدهما المحافظة عليها من جانب الوجود ، وذلك بحفظ ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها . وثانيهما المحافظة عليها من جانب العدم ، وذلك بحفظها مما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها . وبإقامة هذه الأهداف والمحافظة عليها من جانب الوجود ، وجانب العدم ، يتحقق بناء الإنسان والمجتمع . وجدير اتخذها معالم طريق في الرسالة القيمية الاستشرافية التي توضع لتصحيح مسار المجتمع وفق المنظور الإسلامي الأصيل ، ولتوفير شروط الإقلاع الحضاري من جديد ، في ضوء الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة .

فصل عن المصالح المرسلة :

المصلحة لغة هي المنفعة ، والمرسلة هي المطلقة . واصطلاحاً

المصالح المرسلة مركب إضافي يطلق ويراد به المصلحة التي لم يرد دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها ، وليس لها أصل يمكن أن تقاس عليه ، ولم يشرع الشارع حكماً لتحقيقها ، ولكن في اعتبارها وبناء الحكم عليها جلب منفعة أو دفع مفسدة مما يتفق مع أغراض الشارع . ومثال ذلك المصلحة التي اقتضت أن الزواج الذي لم يُسجل في وثيقة رسمية لا تسمع الدعوى به عند الإنكار . وأيضاً المصلحة التي لأجلها ضُربت النقود ، وغيرهما من المصالح التي لم يشرع الشارع أحكاماً لها ، ولم يدل دليل منه على اعتبارها أو إلغائها ، ولكن في بناء الحكم عندها تتحقق منفعة أو تُدْرَأ مفسدة ، ولذلك تسمى مصالح مرسلة .

وهذه المصالح اختلف العلماء حول اعتبارها دليلاً مستقلاً للأحكام ، ومصدراً من مصادر التشريع فيما لم يرد فيه نص عن الشارع .

فذهب جمهور العلماء إلى اعتبار المصالح المرسلة حجة شرعية ، ودليلاً يجوز بناء الأحكام عليه فيما لم يرد فيه نص أو إجماع أو قياس أو استحسان ، وأكثر من توسع في بناء الأحكام على المصالح هو الإمام مالك .

ويُشترط للأخذ والعمل بالمصالح المرسلة ما يلي :

- أن يكون الأخذ بها في مسائل المعاملات لا العبادات .
- ألا تعارض المصلحة مقاصد الشرع ولا دليلاً من أدلته .
- أن تكون المصلحة حقيقية وعامة ، والمصلحة الحقيقية هي التي يكون في بناء الحكم عليها جلب منفعة أو درء مفسدة .

والمصلحة المرسلة دليل شرعي مستقل تثبت عن طريقه الأحكام كما ذهب إليه المالكية والحنابلة ، واستدلوا على ذلك بأعمال الصحابة الذين شرعوا كثيراً من الأحكام تحقيقاً لمصالح العباد وإن لم يرد دليل من الشارع باعتبار عين تلك المصالح ، مثل جمع أبي بكر للمصحف بين دفتي كتاب ، ومحاربته لمانعي الزكاة ، ومنع عمر لسهم المؤلفة قلوبهم ، ووقف تنفيذ حد السرقة في عام المجاعة ، وقتل الجماعة بالواحد ، وإقامة السجون وتدوين الدواوين ، وتوريث عثمان الزوجة المطلقة من طلاق الفرار .

ويرى الشافعية والحنفية أن المصالح المرسلة ليست حجةً ولا دليلاً مستقلاً تثبت عن طريقه الأحكام ، واحتجوا لقولهم بأن الشريعة راعت المصالح للناس بالنص والإجماع والقياس ، فكل مصلحة لم يشهد لها دليل من هذه الأدلة ، ليست مصلحة حقيقية بل هي باطلة .

دراسة فنية لحديث سنداً ومتناً

الأستاذ عمر ماجد السنوي (العراق)

استوقفتني رواية حديثيّة أثناء عملي على مخطوطةٍ فَريدة نَفيسة بخطّ الحافظ ابن حجر العسقلانيّ ، اشتملت على الجزء الثاني من منتخَب الحافظ أبي طاهر السِّلَفيّ مِن أصول كتُب ومصنّفات العلامة جعفر بن أحمد السرّاج البغداديّ ، صاحب الكتاب الأدبيّ الشهير : " مَصارع العشّاق " ، وهذا المنتخَب قد انتهيت من تحقيقه – يسّر الله صدوره على خير ، وجعَله نافعاً مَقبولاً – .

فأحببتُ أن أدرسَ هذه الرواية سَنداً ومَتناً .

أوّلاً : نَصّ الروايَة :

قالَ الحافِظ السِّلَفي : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحمَدَ السَّرّاجُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ المُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ بْنُ حَيُّوَيْهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمُنَادِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَخِي أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، قَالا : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْعَدَوِيُّ الْيَزِيدِيُّ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بِغَيْرِ أَلِفٍ حَتَّى مَاتَ " .

وقد رواها الحافظ الذهبي من طريق المصنِّف ، في كتابه : طبقات الحفّاظ (٤٧/٣) ، وحكمَ عليها بالغرابة والنّكارة ، مع أنّه قال عقب ذلك : " ما علِمتُ أحداً تعرَّض إليهِ [يعني : يحيى بن المبارك] بلينٍ ، وهُو في القِراءة حُجّة ، فالله أعلَم " .

وكذلك ذكرَه في كتابه الآخَر : سير أعلام النبلاء (٣٦٣/١٥) ، وقال : " حديث غريب منكر " ، مع إقراره في المَوضِع نفسِه بأنّ إسنادَه نظيف !

ولأنّ الحافظ الذهبي لم يبيّن وجه الغرابة والنكارة في كِلا

المَوضعَين ، كان لا بدّ من دراسة هذه الرواية من الناحية الحديثية والفقهية .

ثانياً : إسناد الرواية :

هذه الرواية يرويها أبو طاهر السِّلَفي الحافظ المسنِد الثقة – وهو غنيّ عن التعريف – ، عن شيخه : أبي محمدّ جعفر بن أحمد السرّاج البغدادي (ت ٥٠٠هـ) الأديب النحوي المقرئ الفقيه المحدّث ، وقد عُرف السرّاج بصِدْقه وأمانته وصَلاحه ، فهو عالِم ثِبْت ثِقة ، كان حسَنِ الخَلق والخُلق . وعُرف بأنَّه حافظُ عَصره وعلامةُ زَمانه ، مشهوراً بفَهمِهِ ، فكان مِن الّذين يُفْتَخَر برُؤيتِهِ والرِّوايةِ عنه لديانتِهِ ودرايتِهِ . يُنظَر : الكامل ، لابن الأثير (٥٤٨/٨) . والثقات ، لابن قطلوبغا (١٧٠/٣) .

ويرويها السرّاج عن : القاضي أبي القاسم عَلِيّ بن المُحسِّن التَّنُوخيّ (ت ٤٤٧هـ) ، وهو العالِم المعمّر الأديب ، البصري ثم البغدادي ، صدوق الحديث ، سمع أباه وابن كيسان وأبا القاسم الزينبي وخَلقاً كثيراً ، وسمع منه : الخطيب البغدادي وجعفر السرّاج وخلقٌ كثير ، وكان ممن صحب أبا العلاء المعري ، وأسمعَه صحيحَه . يُنظر : تاريخ بغداد (٦٠٤/١٣) .

ويرويها التنوخيّ عن : أبي عُمر محمد بن العباس الخزاز البغدادي ، المعروف بابْن حيُّوَيه (ت ٣٨٢هـ) ، الأديب المحدِّث الثقة الثبت الحجة ، حدَّث عن : المدائني والبغوي وابن المرزبان وابن صاعد وغيرهم كثير . يُنظَر : تاريخ بغداد (٢٠٥/٤) .

ويرويها ابن حيّوَيه عن : ابن المنادي البغداديّ (ت ٣٣٦هـ) ، الحافظ المقرئ الثقة ، سليل المحدِّثين ، روى عن : جدّه ، وعن : أبي داوود السجستاني وزكريا المروزي صاحب ابن عيينة وغيرهم ، وروى عنه : ابن حيُّوَيه ومحمد بن فارس الغوري وغيرهما . يُنظر : تاريخ بغداد (١١٠/٥) .

ويرويها ابن المنادي عن : عُبَيد اللّه بْنِ مُحمّد العدَويّ البغداديّ (ت ٢٨٤هـ) ، المحدّث المقرئ الثقة ، كان عالماً بالعربية ، روى عن : محمد بن منصور الطوسي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وعن عمه إبراهيم بن يحيى ، وعن أخيه أحمد بن محمد ، وحَدَّثَ عنه : ابنُ أخيه محمد بن العباس وأحمد بن عثمان ابن الأدمي وابن المنادي وغيرهم . يُنظر : تاريخ بغداد (٤٩/١٢) .

ويرويها عُبَيد اللّه عن أخيهِ : أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك

العدَويّ ، روى عن : جده ، وعن : أبي زيدالأنصاري ، وروى عنه : أخوه عبيد الله وابنُ أخيه محمد بن العباس وغيرهما ، وكان أديباً شاعراً عالماً بالعربية ، مات قبل (٢٦٠هـ) . يُنظر : تاريخ بغداد (٣٠٨/٦) .

ويرويها عُبَيد الله – أيضاً – عن عمّه : إبراهيم بن يحيى بن المبارك العدَويّ ، وكان ذا حظ وافر في العلم والأدب ، أخذ عن أبيه وعن الأصمعي وأبي زيد وغيرهم ، وله كتاب : " ما اتفق لفظه واختلف معناه " نحو من سبع مائة ورقة ، وله أيضاً كتاب : " مصادر القرآن " و " كتاب في بناء الكعبة وأخبارها " ، وكان شاعراً مُجيداً . يُنظر : تاريخ بغداد (١٦٨/٧) .

وهُما (أحمد وإبراهيم) يرويانِها عن : يحيى بن المبارك العدَويّ اليَزيديّ ، نسبةً إلى الأمير يزيد بن منصور – خال ولد الخليفة المهدي – ، فقد اتّصل بهِ مؤدِّباً لأولاده ، ثمّ اتّصل بهارون الرشيد مؤدِّباً لولده المأمون . ويحيى هذا هو شيخُ القرَّاء في زمانه ببغداد ، وكان محدّثاً أخباريّاً ثقة ، وأديباً شاعراً عالماً بالعربية ، أخذ عن ابن جريج والمازني والخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي عمرو بن العلاء ، وحدّث وأقرأ خلقاً كثيراً منهم : أبناؤه وحفيده وإسحاق الموصلي وأبو عُبيد القاسم بن سلام والدّوريّ والسّوسيّ ، وله مصنَّفات في اللّغة والنحو والأدب والشعر ، توفي سنة (٢٠٢هـ) . يُنظر : تاريخ بغداد (٢٢٠/١٦) .

ويرويها اليزيديّ عن : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم ، الإمام الحافظ الثقة ، أوّل مَن دوّن العِلم بمكة ، وانفرد بمشيخة الحرم ، روى عن عطاء ومجاهد ونافع ابن أبي مليكة وخلق كثير ، وروى عنه الأئمة في عصره السفيانان والحمّادان وابن علية والأوزاعي والليث وغيرهم ، وكان يتوسّع في الرواية ، فيروي بالإجازة والمناولة – قلتُ : لعله من أجل ذلك رمي بالتدليس ! – ، توفي سنة (١٥١هـ) . يُنظَر : سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٦) .

ويرويها ابن جريج عن : عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكة القرشي المكّي ، الإمام الحجّة ، لقي ثلاثين من الصحابة ، وولي القضاء لابن الزبير، روى عنه رفيقه: عطاء بن أبي رباح وأيوب السختياني وابن جريج وخلق كثير ، توفي سنة (١١٧هـ) . يُنظَر : سير أعلام النبلاء (٨٩/٥) .

ويرويها ابن أبي مليكة عن أمّ المؤمنين : أمّ سلَمة – عليها السّلام – .

ثالثاً : تخريج الرواية :

هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي في : جامعه (٢٩٢٧) ، من طريق يحيى بن سعيد الأموي عن ابن جريج ، وأشارَ إلى طريق آخر من رواية الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة به . وكذلك أخرجه غير الترمذي من هذين الطريقين ، ولكن النكتة في روايتنا هذه بإسناد السرّاج إلى يحيى بن المبارك اليزيدي : أنّ في الحديث زيادة لفظ " بغير ألف إلى أن مات " ، وهذا اللّفظ لم يُروَ من حديث أم سلَمة من الطريقَين الآخَرَين عند الترمذي وغيره .

أما قول الذهبي في حكمه على هذا الحديث : (غريب) فلم يبيّن وجه الغرابة ، وقد سبقه إلى هذا الحكم الترمذي ، ولكن الترمذي بيّن وجه الغرابة ، وهو أنّ ابن أبي مليكة لم يسمعه من أمّ سلمة ، لأن الليث ابن سعد روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة رضي الله عنها ، فرأى الترمذي أنّحديث اللّيث عن ابن أبي مليكة أصح من حديث يحيى بن سعيد الأموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ، وأنّ حديث الليث ليس فيه : " وكان يقرأ (مَلِك يَومِ الدِّين) " .

ولكن هذا الإسناد الذي هو بين أيدينا فيه متابعٌ ليحيى بن سعيد الأموي ، وهو : يحيى بن المبارك اليزيدي ؛ فلعل ابن أبي مليكة سمعه من يعلى بن مملك عن أم سلمة تارة – كما في رواية الليث – ، وسمعه من أم سلمة مباشرة تارة أخرى – كما في روايتنا هذه ورواية الترمذي – ، وهذا ليس بغريب ، فقد صرّح ابن أبي مليكة بأنّه أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما في : صحيح البخاري (١/٢٧) – ، وهو ليس من أهل التدليس . أما ابن جريج وإنْ كان يُرمَى بنوع من التدليس ، إلا أنّ يحيى القطّان قال : " أحاديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة كلّها صِحاح"، يُنظر : الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم (١/٢٤١) .

يُضاف إلى ذلك أنه لا تَعارُض بين الطريقَين ، فغاية ما في الأمر أنّ في أحدهما زيادة على الآخَر لا تُعارِضُه ، بل بانَ بأنّها زيادة محفوظة .

رابعاً : فقه الرواية :

في حكم الذهبي على هذا الحديث قال : (منكر) ، وله مثل هذا الإطلاق إطلاقات كثيرة ، فتكون بحاجة إلى دراسة ، ولعلّه قصَدَ

هُنا نكارةَ المتن ، وليس ثَمّ نكارة ، فكَون رسول الله كان يقرأ (مَلِك) بغير ألف ، لا تُنافي كونه أقرأها بعضَ أصحابه بالألف ، فإنّما المراد بالحديث قراءته في الصلاة ، وهذا صحيح ، فقراءة أهل مكة والمدينة وكثير من القرّاء بغير ألف .

أخرج أبو داوود (١١٧٣) من حديث أم المؤمنين عائشة عليها السلام ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنكم شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم . ثم قال : (الْحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين . الرَّحمنِ الرَّحيم . مَلِكِ يَومِ الدِّين) لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أُنزل قوّةً وبلاغاً إلى حين " . قال أبو داوود : " إسنادُه جيّدٌ . أهلُ المدينة يقرؤون (مَلِك يَوم الدّين) وهذا الحديثُ حجّة لهم " ، أي : يقرؤونها بغير ألف .

وأما ما رُوي عن أنس رضي الله عنه : " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرؤون (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) " ، أي: بإثبات الألف ؛ فقد رواه الترمذي وغيره ، وفي إسناده أيوب بن سويد ، وهو ضعيف .

بل رَوى العلامة ابن الأنباري في : كتاب المصاحف – نقله عنه السيوطي في : الدر المنثور (٣٨/١) – عن أنس أيضاً خِلافَ هذا ، وهو أنّهم كانوا يقرؤون (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، أي : بغير ألف ، ولكن لم نعرف إسناد هذه الرواية لفقدان كتاب ابن الأنباري .

ولو صحّت كِلتا الروايتَين فيكونُ الأمر كما قال أبو داوُود (٣٥٤٢) : " سَمِعتُ أَحمدَ يقول : القِراءةُ القدِيمةُ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) " أي : بإثبات الألف . فهكذا هو صنيع العلماء الفقهاء مع النصوص ، يبادِرون إلى الجمع ما أمكن ، لأنّ " الإعمال خير من الإهمال " ، لا سيّما إنْ كان الإهمال لشيئ صحّ إسناده إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد جانَبَ الصوابَ بعضُ العلماء من أهل العربية والقراءات ، حيث ضعّفوا إحدى القراءتين من جهة المعنى ، وهو تضعيف ضعيف ، وقد أحسنَ العلامة ابنُ عقيل الظاهري في الردّ على أصحاب هذا الرأي في مقالة له مطوّلة بعنوان : " لا مُفاضَلة بين قراءتَين صحيحتَين " المنشورة في مجلة الفيصل (العدد : ٢٦٥ ، رجب ١٤١٩هـ) ، فلينظرها مَن شاء المزيد .

الإعلام الإسلامي وخصائصه ودوره في المجتمع

الدكتور معراج أحمد معراج الندوي*

الإعلام الإسلامي هو بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العملية المشروعة ، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة ، بقصد جلب العقول إلى الحق وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل [١] . يتقيد الإعلام الإسلامي بقيمه ومعاييره ومبادئه ، ويعبر عنها في كل ما يقدمه للناس من بيانات واقعية أو مكونات وهيمية [٢] ، وهو كل الجهود الإعلامية والاتصالية والدعوية الهادفة إلى تعريف الناس كافة بحقائق الدين الإسلامي ومبادئه وتشريعاته وقيمه وتوجيه سلوك الأفراد طبقا لتعاليم الإسلام وقيمه وضوابطه [٣] .

الإعلام الإسلامي هو الإعلام الذي يتناول كافة المعلومات والحقائق والأخبار بجميع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية ، فالإعلام الإسلامي ليس إعلاماً مختلفاً في أساليبه أو موضوعه أو فنونه المتنوعة عن الإعلام المعاصر، لكنه ذو صبغة خاصّة مستمدّة من روح الشريعة الإسلامية لتظهر في جوهره ومحتواه وشكله وكل ما يصدر عنه حتى يكون معبراً عن قيم المجتمع الإسلامي وأصالته وتراثه الفكري ، فالإعلام الإسلامي هو استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم ، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المختصرة والأخبار الحديثة والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل للمسلمين وغير المسلمين في كل زمان ومكان .

* الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عالية ، كولكاتا – الهند
merajjnu@gmail.com .

[١] د . عمارة نجيب ، الإعلام في ضوء الإسلام ، مكتبة المعارف الرياض ، السعودية ، ١٩٨٠م ، ص ١٨ .

[٢] محمد بن عبد العزيز الحيزان ، البحوث الإعلامية أسسها وأساليبها ومجالاتها ، الرياض ، ١٩٩٨م ، ص ١٦ .

[٣] عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٨٢ .

أهداف الإعلام الإسلامي :

الهدف من الإعلام الإسلامي التأثير في الجمهور ، وليس إثارتهم ، فالصور التي يتم التقاطها في الكون الواسع تكون لمعرفة قدرة الله وآثارها في الكون ، ومن الأهداف الرئيسية للإعلام الإسلامي أن يثير الشهوات والتخيلات ، فهذا ما يؤكد على أن رسالة الإعلام الإسلامي هو نشر مبادئ وقيم الدين الإسلامي وليس الربح المادي [1] . يعتمد الإعلام الإسلامي نظرية المثل أو القدوة الحسنة والتي ينسجم فيها قول الإعلامي مع سلوكه وعمله ، فتتجسد المبادئ الإسلامية في الأشخاص ، كما يتسم الإعلام الإسلامي بالمرونة ، وتتمثل في قدرته على مواجهة مختلف التحولات التي تحدث في العالم .

يقوم الإعلام الإسلامي على مجموعة من الأساليب الإعلامية التي ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان [2] ، ويعمل على بناء ثقافة عامة في المجتمع وتقديم المعلومات وإيصالهم إلى بناء السلام مشتركة في التطور والنمو والحياة الأفضل .

الإعلام الإسلامي وخصائصه :

يميز الإعلام الإسلامي عن باقي المضامين الإعلامية الأخرى ، ومن ثم التعرض لسبيل تطبيق هذا الإعلام مع مراعاة خصوصيته العقائدية من أساليب ومناهج تجعل من رسالة مؤثرة ومقنعة . يمكن لنا أن نلخص جملة خصائص الإعلام الإسلامي فيما يلي :

الصدق : إن نظرية الإعلام تتوخى الصدق ، وتتحرى الحق سواء في الأخبار أو في السلوك ، ولما كان الإعلام في كلٍ صورة يقوم على الكلمة ، فلا بد أن تكون الكلمة الصادقة المنبتة نابعة عن رؤية إسلامية صادقة بحيث تهدف إلى تحقيق الخير والمنفعة للناس على اختلاف طبقاتهم الإجتماعية . إن الإعلام الإسلامي في طبيعة صياغته للخبر ملتزم بأمانة الكلمة في الإسلام ، فلا يعمد إلى التهويل أو استخدام أسلوب الإثارة ، يلجأ إلى تقصى الحقيقة والصدق الكامل بغير زيادة ، ولا نقصان ، هذا ما يؤدي إلى الصدق في صياغة الخير من وجهة نظر إسلامية [3] .

---

[1] د . محمد منير حجاب ، الإعلام الإسلامي – المبادئ النظرية والتطبيق ، دار الفجر، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٧ .

[2] أبو الفتوح البيانوني ،المدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٩م، ص ١٩٥

[3] بلجيلالي خيرة ، أثر الإعلام الخير في نشر قيم الدعوة الإسلامية وتفعيلها ، مجلة

الشمولية : إن الإعلام الإسلامي يرتكز على الإحاطة والشمولية بكل ما يحيط بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، يشتمل على كل ما يحقق السعادة للخلق ، وكفل الحقوق والحريات للجميع ، حيث إن شمولية الإعلام الإسلامي مرهونة بالتزامه بالمنهج الإسلامي والذي يلبى حاجات الحياة الإنسانية الصالحة للبشرية جمعاء عبر كل زمان ومكان [1] .

الواقعية : الواقعية هي إحدى خصائص الفقه الإسلامي الذي ينتمي إلى النظرة الإسلامية في الإعلام ، كما أنها المنبر المعبر والمساعد رجل الإعلام حتى ينير للملتقى الواقع ، ويساعد بتغييره نحو الأحسن حتى يشكل تطابقاً بين المجتمع والمنهج الإسلامي [2] .

والأمر الذي تحققه مبادئ الأعلام الإسلامي التي تنبع من الإيمان بالله ، من حيث تنظيم علاقة الفرد بنفسه ، وعلاقة الفرد بالفرد الآخر ، ثم علاقة الفرد بأمته ومجتمعه ، وبالكون الذي يعيش فيه ، كما أن الإعلام الإسلامي يخاطب المجتمع العالمي الإنساني بالوشائج القوية من الإخاء والمحبة والتسامح والتعاون والتكامل .

نظرية الإعلام الإسلامي :

إن الإعلام الإسلامي ليس مرتبطاً بفترة زمنية معنية ، وليس محدوداً ببقعة جغرافية محدودة ، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ، ويحمل في طياته بذور الملاءمة لكل زمان ومكان . وإذا كان الإعلام هو صناعة الرأي العام ، وهو إلى جانب ذلك يحمل رسالة ، وهو أداة اتصال بين طرفين : المخبِر والمخبَر ، فإن القرآن الكريم بهذا المعنى هو أهم وسيلة إعلامية قديماً وحديثاً .

إن القرآن الكريم الذي تنبع منه نظرية يؤكد على وحدة الإنسانية ، حيث يقوم الإعلام الإسلامي على أسس من صلة الرحم بين بني الإنسان ، وعلى أساس من التعارف المودة واقرار السلام ، فإن الأصل في الإعلام الإسلامي هو التوادد والتراحم لا العداوة القاطعة . الإسلام من طبيعته التجديد ، وليس من طبيعته الجمود ، والإسلام في دعوته إلى التجديد والانطلاق في آفاق الكونه ، والنظر إلى ملكوت السموات والأرض .

البدر ، ج ١٠ ، ع ٠٦ ، ٢٠١٨م ، ص ٦٢١ .

[1] إبراهيم إمام ، دور الإعلام في التضامن الإسلامي ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٩٩٤م ، ص ٢٧٣ .

[2] عبد الرزاق محمد الدليمي ، الإعلام الإسلامي ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١٣م ،ص ١٢٦

الإعلام الإسلامي يركز على الأخلاق ، لأنها ضرورة من ضروريات الحياة والوجود الإنساني . لقد قدم الإسلام للإنسانية دستوراً أخلاقياً شاملاً ، تنظمه نظرية مفصلة توضح كل العناصر الضرورية اللازمة لتكوين فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أن تتصورها معنى الأخلاق . الإعلام الإسلامي يتميز باستقاليته ورفضه للهيمنة ، كما يرفض أشكال التبعية ، وهو عالمي التوجيه ، ودعوته عالمية ، يرفض كل ما يتعارض مع المصادر الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية [1] .

دور الإعلام الإسلامي في المجتمع :

يتمحور دور الإعلام الإسلامي المقروء في بناء الفرد حول توجيهه وإرشاده دينياً وترسيخ عقيدته ، ونشر الثقافة الإسلامية في الفرد وتعزيز قيمه ومبادئه ، ويساعد الإعلام الإسلامي المقروء أيضاً في تحسين مستوى الوعي الديني لدى الفرد وتعزيز التفاعل الإيجابي مع الأحداث الدينية والاجتماعية والثقافية . إن دور الإعلام الإسلامي في بناء الفرد والمجتمع في تطوير وتحسين وسائل الإعلام الإسلامية المقروءة ، وتعزيز دورها في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية وتوجيه الأفراد والمجتمعات نحو السلوك الصحيح والمقبول في الإسلام . ومن خلال فهم دور الإعلام الإسلامي في بناء الفرد والمجتمع ، يمكن تحديد الآليات والأساليب التي يمكن استخدامها لتحقيق دور الإعلام الإسلامي في بناء الفرد والمجتمع ، وتحديد العوامل التي تؤثر على فعاليته . ويتحلى الإعلام الإسلامي بالصدق والموضوعية والواقعية ، بعيداً عن الخداع والتزيف . يواكب على مواكبة الأساليب المتطورة ضمن حدود الشريعة الإسلامي ، يعمل كل العمل على التجديد في الأسلوب والطرح ، ليكون أكثر مقبولا وفاعلية لدى مختلف الفئات في العالم الإسلامي [2] . يتمثل الإعلام الإسلامي في نشر الثقافة الإسلامية والأخلاق والقيم في المجتمع وتطويره وازدهاره ، ويساعد في تحسين جودة حياة المجتمع وتعزيز التضامن الاجتماعي والاندماج الثقافي .

الإعلام الإسلامي والإعلام الإنساني :

" الإعلام الإسلامي " و " الإعلام الإنساني " هما مصطلحان يشيران

---

[1] حامد أشرف همداني ، الإعلام الإسلامي خصائصه ومعالمه ، مجلة الأضواء ، ج ٣٢، ٤٧ ، ٢٠٠٩م ، ص ٢١٣ .

[2] محي الدين عبد الحليم ، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٣٢ .

إلى نوعين مختلفين من الإعلام ، مع التركيز على القيم والأهداف المختلفة . " الإعلام الإسلامي " يركز على القيم والمبادئ الإسلامية في نقل الأخبار والمعلومات ، ويسعى لتقديم محتوى إعلامي يتوافق مع الشريعة الإسلامية . أما " الإعلام الإنساني " فيركز على نقل الأخبار والمعلومات بطريقة تحترم حقوق الإنسان وتعزز التفاهم والتعايش بين الثقافات المختلفة .

الإعلام الإنساني في الإسلام ينطلق أساساً من الحرص على حقوق الإنسان ، ويتوسل بالإقناع والتعبير الموضوعي عن عقلية البشر في وضح وصدق وأمانة ، وهو لذلك يحث على التنوير والتثقيف ، وضمان حريات الناس وأمنهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، فإن نظرية الإعلام في الإسلام هي النظرية المثلى في معالجة مشكلات الإنسان المعاصر التي حار في علاجها المفكرون والفلاسفة في شتى بقاع العالم ، إذ أن الإعلام الإسلامي هو الذي يسكب في النفس الطمأنية والرضا ويحفظ على الإنسان كرامته وحريته وينشئ لديه رقابة ذاتية تحميه وتحمي مجتمعه وأمته الإنسانية . أما النظريات الإعلامية المعاصرة فهي نظريات تهتم بالجانب المادي للإنسان ، والتقدم العلمي للسيطرة على عقول الناس ، وترويج للرسالات المادية والإلحادية والنزوات الشريرة لكي تطغى على الإنسان ، فأصبح الإنسان أسيراً لوسائل الإعلام المعاصرة التي جعلته يعيش في فراغ وضياع ، وفقد للتفرقة بين البلاد التي تعتنق أي أيديولوجيات مختلفة كألرأسمالية والاشتراكية .

إذا كانت العدالة أساس العلاقات الإنسانية في الإعلام الإنساني ، فالإسلام دين يصلح لكل المجتمعات ، لأنه دين المساواة بين الناس في الحقوق والوجبات ، وفي الثواب والعقاب ، وفي الحسنات والسيئات ، والأمر الذي يجعل الإعلام الإسلامي مستهدفاً الحض على الأخلاق الكريمة ، والفضائل العليا التي تصلح للأفراد والمجتمعات في كل زمان ومكان .

الإعلام الإنساني وحقوق الناس :

إن الدستور للإعلام الإسلامي ينص على الدعوة إلى وجوب احترام حقوق الناس وبخاصة في النفس والمال والعرض ، وتأكيد حقوق المرأة ووجوب رعايتها ورعاية العلاقة الزوجية والأسرية ، وصيانة الروابط الدينية والأخوية والاتصالية بين الناس ، كما ينص الدستور على إعلان المساواة التامة بين بني الإنسان في الحقوق والواجبات ، بغض النظر عن اللون والجنس ، وهذا الأساس يمثل جوهر الإعلام الإسلامي [1] . إن دستور الإعلام الإسلامي يتجمع

[1] المصدر السابق ، ص ٢٥ .

ويتبلور في قوله تعالى : (لا إكرَاهَ في الدِّين) [1] حيث أن الإسلام ليس دين إكراه ، لكنه يفرض على الإعلام الإسلامي أن يبشر بالهداية والدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وعلى جانب آخر ، نجد أن الإعلام الدولي المعاصر لا يخرج عن مفهوم الدعاية كنشاط أو فن لإغراء الآخرين بالتصرف بطريقة معينة على نحو ما نعرف عن الدعاية التبشيرية والدعاية السياسية في وسائل الإعلام العالمية ، والدعاية الرمزية في الحرب النفسية ، والإعلام الإنساني في الإسلام إعلام إيجابي يصل بين الإنسان وخالقه ، ويوضح حقائق الهداية ، ويوجه الإنسان إلى البناء من سعادة الدنيا والآخرة .

إن للحق في نظر الإسلام وظيفتين : إحداهما فردية وأخراهما جماعية ، وبما أن هناك توازناً بين حقوق الفردية والجماعة ، ومع الأخذ بعين الاعتبار حقيقة النفس البشرية التي قد تنزع إلى استعمال الحق بشكل تعسفي مما يلحق الضرر بالآخرين ، يصبح الحفاظ على التوازن بين الحقوق الاستعمال غير مشروع ، وبذلك نجد أن الإعلام الإسلامي يحمي حقوق الإنسان ويحافظ عليها ويشكل ضمانة لحماية حقوق الإنسان .

استنتاج البحث :

وللإعلام دور كبير في خدمة المجتمع ، فهو ضرورة اجتماعية لمجتمع مستقر ، فإن وسائل الإعلام تخلق نوعاً جديداً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم ، فهي تغلف الإنسان بنوع من الواقع البديل بسبب ما أخذته من السرعة والشمول والانتشار في عالم الاتصالات . الإعلام الإسلام ليس إعلامياً وعظياً فحسب ، وإنما يضاف إلى ذلك كافة الجوانب التي تمس حياة الملتقي ، وكل ما تحتاجه الأسرة والمجتمع . يساعد الإعلام الإسلامي في تحسين مستوى الوعي الديني لدى الفرد وتعزيز التفاعل الإيجابي مع الأحداث الدينية والاجتماعية والثقافية ، الإعلام الإسلامي ركن ركين من هوية الأمة ، وصرخ لا يستهان به تثقيفاً وتربوياً واجتماعياً . يحافظ الإعلام الإسلامي على فطرة الإنسان من الانحراف وتعامله مع الآخرين عن الإساءة واللإفساد ، وسياسته عن ظلم والطغيان ، وقوته عن الاستبداد ، فالإعلام الإسلامي هو الذي يهتم بحقوق الإنسان وحرية التعبير وحرية الرأي ، وله دور كبير في تعزيز الجهود البشرية في مناقشة القضايا المشتركة وخدمة الإنسانية .

---

[1] سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

الطب النبوي : بين العلم والدين : دراسة تحليلية معاصرة

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد رضي الإسلام الندوي*

تعريب : الأخ ريحان بيغ الندوي♣

الطب النبوي مباحٌ ، وليس من السنة الشريفة كما يظن البعض خطأً :

وقد بالغ البعض في هذا الأمر حتى جعلوا اختيار الطب النبوي سنة مؤكدة ، واشتهر في زمننا استعمال الحجامة (Cupping) مع الترويج لها على أنها سنة وعلاج ووقاية .

إلا أن مصطلح " السنة " في الفقه يشير إلى ما يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه ، بينما الطب النبوي يدخل ضمن دائرة المباحات ، وليس من الواجبات أو السنن المؤكدة . وقد بيّن العلماء أن أصول التداوي في الإسلام تعتمد على ما يحقق المصلحة ، دون أن يكون ذلك من أركان الدين .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " كل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة وأقرّه ولم يُنسخ فهو تشريع ، غير أن هذا التشريع يشمل ثلاثة أنواع : الإيجاب ، والتحريم ، والإباحة . ومن هذا المنطلق ، فإن ما ثبتت منفعته الطبية من خلال النصوص النبوية يُعتبر مشروعاً بالإباحة أو مستحباً إذا اقتضت الحكمة ذلك " [1] .

ولكن مع الأسف ، يتبنى كثير من الناس تصوراً ضيقاً عن الطب النبوي ، فيرونه مجرد مجموعة من الأدوية ، أو الأطعمة ، أو الوسائل العلاجية ، وهو تصور يُهدر قيمته الحقيقية وعظمته .

وينبغي عند دراسة الطب النبوي التركيز على الجوانب المميزة التي تفرده عن غيره ، مع إبراز هذه الميزات بوضوح ، وهو ما سنتطرق إليه تفصيلاً فيما يلي :

(ألف) تدابير العناية بالصحة :

كانت بعض الأديان والحضارات تعتقد أن الأضرار بالبدن وابتلاء الإنسان بالآلام ما هي إلا عقوبة على خطيئة ارتكبها . فجاء النبي صلى

* سكرتير لجنة إصلاح المجتمع بالجماعة الإسلامية ، الهند .

♣ طالب بدار العلوم لندوة العلماء .

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودية، ١٨/١١ – ١٣ .

اللّه عليه وسلم ليبطل هذا المعتقد الباطل ، ويؤكد أن الصحة والعافية من أعظم نعم اللّه تعالى على الإنسان ، داعياً إلى حسن التدبير في الحفاظ عليها ورعايتها : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فيهِما كثيرٌ مِنَ النَاسِ : الصحةُ ، والفراغُ " [1] ، " خُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ " [2] .

أما بعض الديانات المحرّفة والمذاهب الوضعية ، فقد بنت معتقداتها على تعذيب الجسد وإلحاق الضرر به ، بزعم أن ذلك يحقق صفاء الروح ورقيها . كما اعتقد بعض أتباعها أن الخطيئة هي السبب الرئيس وراء الأمراض الروحية والجسدية التي تصيب البشر .

وقد اختار بعض الصحابة رضي اللّه عنهم التشدد في العبادة بما يفوق طاقتهم ، فأراد بعضهم أن يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله . فلما بلغ ذلك النبي صلى اللّه عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك ، وقال : إنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً [3] .

أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بتناول الطيبات والتغذية الصحية ، ونهى عن كل ما يضر بالبدن ، كما نهى عن الإفراط في تناول الطعام حتى الشبع المفرط ، لأن البطن أصل الداء . وقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : " ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه " [4] .

(ب) الطهارة والنظافة :

أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم بالالتزام بالطهارة ، وجعلها نصف الإيمان ، وحث عليها في العديد من الجوانب . نهى عن التبول في الماء ، وأوصى بالاستنجاء وإزالة النجاسة بعد قضاء الحاجة . كما نهى عن التنفس أو النفخ في الإناء أثناء الشرب ، وأمر بتغطية الأواني التي تحتوي على الطعام أو الشراب ، وشدد على غسل الإناء جيداً إذا ولغ فيه الحيوان .

دعا صلى اللّه عليه وسلم إلى الحفاظ على نظافة الفم ، والبدن ، واللباس باستمرار ، ونهى عن إلقاء النفايات والقاذورات في الطرقات ،

---

١ صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب لا عيش إلا عيش الآخرة ، الحديث رقم ٦٤١٢

٢ صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي " خذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك " ، الحديث رقم ٦٤١٦ .

٣ صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب نزولك عليك حق ، الحديث رقم ٥١٩٩ ؛ صحيح مسلم : الحديث رقم ١١٥٩ .

٤ جامع الترمذي ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، الحديث رقم ٢٣٨٠ ؛ ابن ماجه : الحديث رقم ٣٣٤٩ .

والممرات ، والمرافق العامة ، والأماكن التي يجلس فيها الناس أو يستظلون بها ، وكذلك حول البيوت ومحيطها [1] .

إن هذه التعاليم النبوية السامية ، إذا تم الالتزام بها بشكل كامل ، تضمن صحة الإنسان ونظافة البيئة ، مما يعكس روح الإسلام في الدعوة إلى الطهارة والجمال .

(ج) مفهوم العدوى والحجر الصحي في ضوء التوجيهات النبوية :

مع اكتشاف نظرية الجراثيم ، ظهر مفهوم العدوى كعامل رئيسي في انتقال العديد من الأمراض الخطيرة ، حيث اعتُبرت الكائنات الدقيقة غير المرئية السبب المباشر للاضطرابات الصحية التي تصيب جسم الإنسان . وقد مثّلت هذه النظرية نقلة نوعية في العلوم الطبية ، إذ ساعدت في الوقاية من الأمراض والسيطرة عليها بطرق أكثر فعالية .

في الطب النبوي ، يظهر تصور متوازن ودقيق للعدوى . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا عدوى " ، وليس المقصود هنا إنكار وجود العدوى كظاهرة طبية ، وإنما التأكيد على أن تأثيرها ليس ذاتياً بل يقع بمشيئة الله تعالى وحده . فالعدوى لا تؤثر إلا بإذن الله ، مما يعزز الإيمان بأن الأمور كلها بيد الله .

وفي قصة مشهورة ، سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله ، إن الإبل السليمة تصاب بالجرب إذا خالطتها بعير أجرب ، فما السبب ؟ " فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم : " فمن أعدى الأول ؟ " [2] ، ليبين أن المرض بدأ أولاً بتقدير الله قبل أن ينتقل إلى غيره .

ورغم هذا ، حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توجيه المسلمين لاتخاذ أسباب الوقاية . فقد أمر بعزل المصابين عن الأصحاء بقوله : " لا يوردن ممرض على مصح " [3] ، مشدداً على أهمية تجنب الاختلاط الذي قد يؤدي إلى انتقال العدوى .

تنتقل الأمراض المعدية عبر الهواء ، أو الرذاذ الملوث ، أو المياه غير النظيفة . وفي هذا الإطار ، جاءت التوجيهات النبوية لتؤكد أهمية الالتزام

---

١ مقالتي بعنوان " وقاية الصحة في الأحاديث النبوية " ، في كتاب مقالات طب ، نشرته خدا بخش أورينتال ببلشرز ، باتنا ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٠ – ٢٨ .

٢ صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب لا صفر ، وهو داء يأخذ البطن ، الحديث رقم ٥٧١٧ .

٣ صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب لا هامة ، ٥٧٧١ .

بالنظافة الشخصية والعامة ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية الفم والأنف عند العطس ، ونهى عن البصاق في الأماكن العامة ، وأوصى بغسل اليدين قبل ملامسة الأواني أو الطعام [1] ، وحذر من تلويث المياه [2] .

هذه التوجيهات النبوية لا تعكس فقط وعياً صحياً متقدماً ، بل تؤكد على أن الوقاية من الأمراض جزء من تعاليم الإسلام ، حيث تُظهر اهتمامه بصحة الفرد والمجتمع على حد سواء .

وفي الآونة الأخيرة ، اجتاحت جائحة كورونا العالم ، وأدت إلى إصابة ملايين الأشخاص بهذا المرض الفتاك . في تلك الفترة العصيبة ، توقفت الحياة اليومية ، وتعطلت جميع وسائل النقل والمواصلات ، إذ سادت حالة من الجمود في كل مكان . فرضت معظم الدول التباعد الاجتماعي (Social Distance) ، وأصبح من الضروري منع تجمعات الناس في الأماكن العامة ، مع فرض قيود صارمة على هذا الأمر . واعتُبرت هذه التدابير وسيلة فعّالة للحد من انتشار الوباء ومنع تفشيه . كما تم عزل المصابين لفترة معينة بعيداً عن الآخرين ، بهدف تقليل تأثيرات المرض ومنع انتقاله إلى الأصحاء . وتعرف هذه التدابير في الطب الحديث بالحجر الصحي أو " الكوارنتين " (Quarantine) وهو ما له أساس قوي في الطب النبوي . فقد ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا سمعتم بالطاعون في أرضٍ ، فلا تدخلوها ، وإذا وقع في أرضٍ وأنتم بها ، فلا تخرجوا منها " [3] .

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اجتاح الطاعون بلاد الشام ، وأدى إلى وفاة العديد من الناس . في تلك الأثناء ، تم اتخاذ نفس التدابير الوقائية ، حيث جرى تفريق الجيش في المناطق الجبلية ، مما أسهم في الحد من انتشار المرض وحماية الآخرين من الإصابة به .

(د) الأخلاقيات الطبية :

الأخلاقيات الطبية تعد من المواضيع الجوهرية في مهنة الطب ، ويُنسب الفضل في ترسيخها وتطويرها إلى " أبي الطب " بقراط (٣٦٣ ميلادي) ، الذي وضع قسماً شهيراً يُعرف باسم " قسم بقراط " ، والذي

---

[1] جامع الترمذي ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء اذا استيقظ ٢٤٠ .

[2] صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب البول في الماء الدائم ، ٢٣٩ .

[3] صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون : ٥٧٢٨ ، مسلم : ٢٢١٨ .

يعد من أهم المعالم في تاريخ الطب . ومن بين العهود التي يجب على كل من يتعلم الطب الالتزام بها : " سأتخذ كافة التدابير الممكنة لصالح المرضى ؛ سأبتعد عن أي فعل أو مادة قد تسبب ضرراً أو أذى للمرضى ؛ لن أُعطي أدوية مميتة ؛ ولن أفصح لأحد عن أدوية قد تؤدي للموت ؛ لن أُعطي أدوية قد تؤدي إلى إجهاض النساء ؛ لن أمارس الجراحة بنفسي ، بل سأوكلها لمن هو أكثر تخصصاً ؛ ولن أكشف أسرار المرضى " [1] .

تجد هذه المبادئ أيضاً جذورها واضحةً في الطب النبوي ، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال حياته حريصاً على إرشاد الناس إلى مراعاة الأخلاق والآداب ، خاصة الأطباء ، ودعاهم إلى الالتزام بهذه القيم . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الناس من ينفع الآخرين بأكبر قدر ممكن . كما نهى عن التسبب في أذى الآخرين ، وأوضح تحريمه للإجهاض دون مبرر شرعي . وفي حالة حدوث ضرر نتيجة علاج شخص بدون معرفة طبية كافية ، يُعد الطبيب مسؤولاً ويستحق المحاسبة .

الشفاء الروحي والجسدي في ضوء الطب النبوي :

لقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم لينقذ الناس من براثن السحر والشعوذة والخرافات ، فنهى عن استخدام التعاويذ الباطلة والتوجه إلى المشعوذين ، وفي المقابل أباح الرقية الشرعية المستندة إلى آيات القرآن الكريم والأدعية المأثورة . قال الله عز وجل : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [الإسراء : ٨٢] .

وقد فسّر الإمام الرازي هذه الآية بأن القرآن شفاء للأمراض الروحية ، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية [2] و [3] . وتشير بعض الأحاديث النبوية إلى أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يستخدمون سورة الفاتحة للرقية ، فشُفي بها بعض المرضى ، وعندما عُرض الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم ، أقرّهم عليه . كما وردت أحاديث أخرى تثبت مشروعية قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين للرقية ،

---

[1] طبي أخلاقيات ، حكيم فخر عالم ، قومي كونسل برائى فروغ اردو زبان ، نئي دهلي ، ٢٠٢٣م ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

[2] التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١م ، ٣٥/٢١ .

[3] صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقي بفاتحة الكتاب ، ٥٧٣٦ ، صحيح مسلم : ٤٠٨٠ .

سواء في حالات الصحة أو المرض [1] .

وجاء عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله ! كنا نستخدم الرقى في الجاهلية عند المرض ، فهل نفعل ذلك الآن ؟ " فقال عليه الصلاة والسلام : " اعرضوا عليّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً " [2] .

يتبين من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الجمع بين الأخذ بالأسباب المادية واللجوء إلى الله عز وجل بالدعاء والاستغفار طلباً للشفاء . كما علّم أن تقوية المريض لعلاقته بربه وتوكله عليه يُعد في حد ذاته علاجاً نفسياً يعزز راحة القلب وطمأنينته .

هذا الشعور بالطمأنينة يمنح المريض قوةً إيجابيةً ، ويُلهم في نفسه العزيمة لمواجهة المرض والتغلب عليه . وهكذا ، فإن الجمع بين الأسباب الشرعية والطبيعية يشكل منهجاً فريداً في الطب النبوي ، يساهم في تحقيق التوازن بين صحة الجسد وسكينة الروح [3] .

الضوابط المنهجية لدراسة الطب النبوي :

إن الطب النبوي يمثل إرثاً علمياً وروحياً عظيماً ، لكن التعامل معه يحتاج إلى منهجية دقيقة ورؤية علمية واعية . فقد أدت بعض التجاوزات وعدم الالتزام بالضوابط إلى تشويه صورته وإثارة الشبهات حول مصداقيته . من هذا المنطلق ، يتعين على الباحثين أن يلتزموا بضوابط صارمة عند دراسة الطب النبوي ، نعرض منها ما يلي :

أولاً : الالتزام بالأحاديث الصحيحة فقط :

إن اعتماد الأحاديث الصحيحة ذات السند الموثوق هو أساس البحث العلمي في الطب النبوي ، كما هو الحال في جميع المجالات الشرعية . ومع ذلك ، فإن العديد من المؤلفين الذين تناولوا الطب النبوي وقعوا في التساهل ، حيث أدرجوا أحاديث ضعيفة بل وموضوعة أحياناً .

فعلى سبيل المثال ، أورد أبو نعيم الأصفهاني في كتابه " الطب النبوي " ٨٤٢ حديثاً ، منها ٢٤٧ حديثاً ضعيفاً أو شديد الضعف ، و ٨٠ حديثاً موضوعاً ، و ٢٣ حديثاً لا مصادر لها [4] . حتى ابن قيم الجوزية ، وهو من كبار

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقي بالقرآن والمعوذات ، ٥٧٣٥ .

[2] سنن أبو داؤد ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي : ٣٨٨٦ .

[3] صحت ومرض اور اسلامي تعليمات ، مولانا سيد جلال الدين عمري ، مركزي مكتبه إسلامي ببلشرز ، نئي دهلي ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

[4] موسوعة الطب النبوي ، أبو نعيم الأصفهاني ، دراسة وتحقيق : مصطفى خضر

علماء الحديث ، تضمن كتابه " الطب النبوي " بعض الأحاديث الضعيفة .

وقد اختلف العلماء حول الاستفادة من الأحاديث الضعيفة ؛ فبعضهم رفض ذلك مطلقاً ، بينما أجازها البعض الآخر بشروط دقيقة ، منها ألا يكون ضعف الحديث شديداً ، وألا يتعارض مع الحقائق الثابتة أو الأصول العلمية [١] .

ثانياً : فهم المقاصد والأساليب النبوية :

لا يكفي الاعتماد على المعاني الظاهرة للأحاديث النبوية المتعلقة بالطب ، بل يجب التعمق في فهم أساليبها ومقاصدها .

على سبيل المثال ، جاء في الحديث الشريف : " إن في الحبة السوداء شفاءً من كل داء إلا السام " [٢] .

هذا الأسلوب لا يعني بالضرورة أن الحبة السوداء تعالج جميع الأمراض ، بل هو تعبير عن فائدتها العامة .

وكذلك الحديث : " الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين " [٣] .

لا يفيد عموماً أن ماء الكمأة يعالج كل أمراض العين ، بل يشير إلى فوائدها في حالات محددة .

ثالثاً : تجنب التعميم في علاجات النبي صلى الله عليه وسلم :

تختلف فعاليات العلاجات باختلاف طبيعة المرض ، وظروف البيئة ، وحالة المريض . وقد ناقش ابن القيم هذا الأمر بتفصيل ، موضحاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب في بعض الأحيان أقواماً في بيئة معينة وظروف خاصة .

فعلى سبيل المثال ، الحديث : " إن شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء " [٤] .

لا يعني أن جميع أنواع الحمى تعالج بالماء البارد ، بل قد يكون

دونمز التركي ، مقدمة محقق ، ص ١٤١ .

[١] أنظر المقالة : الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في الطب بين ابن قيم الجوزية والدكتور النسيمي : دراسة مقارنة ، محمد أكمل الدين بن محمد حمدان ، بيش كرده در انتر نيشنل بروفيك https://oarep.usim.edu.my/jspui/handle/١٢٣٤٥٦٧٨٩/٧٠٣٩ ، ٢٠٢٠م ، كانفرانس مليشيا .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الحبة السوداء : ٥٦٨٧ ، مسلم : ٢٢١٥ .

[٣] جامع الترمذي ، أبواب الطب ، باب ما جاء في الكماة : ٢٠١٦م ، ابن ماجه : ٣٤٥٥ .

[٤] صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الحمى من فتح جهنم : ٥٧٢٣ ، ٣٢٦٤ ، مسلم : ٢٢٠٩ .

الخطاب موجهاً لأهل الحجاز ، حيث تنتج الحمى غالباً عن حرارة الشمس ، والتي يخففها الماء البارد [1] .

وكذلك الحديث : " شفاء عرق النسا ألية شاه أعرابية تُذاب " [2] .

قد تكون هذه الوصفة مناسبة لأهل الحجاز والبادية ، الذين تتوافق أجسادهم مع مثل هذه العلاجات [3] . لذلك ، إذا لم تُثبت بعض العلاجات النبوية فعاليتها في الدراسات الحديثة ، فقد يكون ذلك مرتبطاً بظروف معينة للزمان والمكان والمناخ .

ضرورة عدم اعتبار الطب النبوي نظاماً علاجياً متكاملاً :

يرى بعض الباحثين أن الطب النبوي يمثل نظاماً طبياً متكاملاً (System of Medicine) كحال الطب اليوناني ، والأيورفيدا ، والألوباثي ، ويزعمون أن هذا الطب يحتوي على فلسفة لفهم الأمراض الجسدية ، النفسية ، والعقلية ، ويقدم توجيهات لحفظ الصحة ، وطرق علاج الأمراض ، ويحدد أنواع الأدوية والأغذية والتدابير اللازمة ، بل ويشمل في بعض الأحيان اقتراح عمليات جراحية عند الحاجة . وباختصار ، يعتبرونه نظاماً طبياً مكتمل العناصر .

لكن ، من وجهة نظري ، هذا الادعاء يفتقر إلى الدقة . فإثبات أهمية الطب النبوي لا يتطلب اعتباره نظاماً طبياً شاملاً . إنما الطب النبوي في جوهره عبارة عن مجموعة من التوجيهات النبوية الأساسية لحفظ الصحة وبعض الأدوية والأغذية التي ورد ذكرها لعلاج أمراض معينة .

ضرورة البحث العلمي في أدوية الطب النبوي :

غالباً ما تتسم الكتب والمقالات التي تتناول الطب النبوي بنبرة عاطفية ، وتبالغ في وصف فوائد الأدوية النبوية .

على سبيل المثال ، ورد أن سعد بن أبي وقاص اشتكى من ألم في صدره ، فأوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بتناول عجوة التمر . ومع ذلك ، نجد بعض المؤلفين يزعمون أن هذا الحديث يقدم علاجاً شافياً للنوبات القلبية . مثل هذا التفسير لا يتماشى مع أسس البحث العلمي .

لذلك ، يتعين إجراء دراسات علمية دقيقة لتحليل أدوية الطب

---

[1] زاد المعاد : ٣١/٤ .

[2] سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب دوا ، عرق النسا : ٣٤٦٣ .

[3] زاد المعاد : ٩٩/٤ .

النبوي في ضوء المعرفة الحديثة . وبما أن أغلب الأدوية النبوية ذات أصل نباتي ، فمن الضروري تصنيفها علمياً ، والتحقق من أسمائها اللاتينية ، ومقارنتها مع الأوصاف الواردة في المصادر الطبية القديمة . يجب أيضاً دراسة فعاليتها بناءً على التحليل العلمي الحديث والتأكد من مدى تطابقها مع ما ورد في الطب القديم .

طرح مثل هذه التساؤلات والبحث عن إجابات لها هو مسؤولية الباحثين في مجال الطب . ومن دون هذه الدراسات العلمية الدقيقة ، لا يمكن تقديم رؤية متكاملة للطب النبوي .

وقد أشار الدكتور محمد اقتدار حسين الصديقي بحق إلى " أن إرشادات النبي صلى الله عليه وسلم في الطب لم تُفسّر بما يتناسب مع المعرفة العلمية الحديثة . وأوضح أن محاولات تصنيف الأدوية النبوية في بعض المؤلفات شابها العديد من الأخطاء العلمية الواضحة .

فعلى سبيل المثال ، عرّفت بعض الكتب نباتات مثل البهي ، السفرجل ، اللبان ، الكندر ، السود الهندي ، الورس ، والكافور بأسماء نباتية غير صحيحة . هذه الأخطاء تجعل من الصعب اعتبار تلك المؤلفات نموذجاً علمياً يليق بالطب النبوي ، أو أنها تحقق الهدف المنشود منه " [1] .

إسهامات بارزة في دراسة الطب النبوي :

رغم التحديات ، ظهرت بعض الأعمال المتميزة التي تناولت الطب النبوي بمنهج علمي ، منها كتاب الطب النبوي والعلم الحديث للدكتور محمود ناظم النسيمي (باللغة العربية) ، وكتاب طب نبوي اور جديد سائنس للدكتور خالد الغزنوي (باللغة الأردية) ، وكتاب طب نبوي اور نباتات للدكتور محمد اقتدار حسين الصديقي .

لكن هذه الجهود تظل فردية ، والحاجة ماسّة إلى تأسيس مؤسسات علمية ومراكز بحثية متخصصة لدراسة الطب النبوي بشكل منهجي ومنظم . ينبغي أن تعمل هذه المراكز على دراسة النباتات والأدوية المذكورة في الأحاديث النبوية ، وغيرها من جوانب الطب النبوي ، وفقاً للأسس العلمية الحديثة ، وبطريقة تعزز قيمته وتسلط الضوء على إسهاماته في المجال الطبي .

---

[1] طب نبوي اور نباتات حديث ، داكتر محمد اقتدار حسين فاروقي ، سدره ببلشر ، لكهنؤ ، ص ٢٩ .

العقَّاد في كتابه " عبقريَّة الصِّدِّيق "

د . قمر شعبان الندوي*

عباس محمود العقاد الذي هو ، حقاً ، أبو النقاد ، ومربي الجيل الكبير من الأدباء ، والمبدعين ، والروائيين ، والشعراء ، والكتاب إبان العصر الأدبي الحديث . والذي راد النهضة النقدية مع زميلَيهِ : عبد الرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني ؛ فوضعوا مبادئ النقد الأدبي ، ونقدوا الفحول من شعراء العربية بالدورِ الريادِيِّ المتمثل في إنشاء المدرسة الأدبية – النقدية ، ألا وهي : " مدرسة الديوان " .

وإن المحتويات التي عالجها العقاد في عبقرياته ، هي تتسم بالفلسفة أكثر من التاريخ ، رغم ما لها من الأهمية التاريخية ؛ تتضمن سلسلة العبقريات : عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبقرية الصديق ، وعبقرية عمر ، وذو النورين عثمان بن عفان ، وعبقرية الإمام علي ، وعبقرية خالد ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والحسين أبو الشهداء ، والصديقة بنت الصديق ، وفاطمة الزهراء والفاطميون . وإن العقاد في معالجة هؤلاء الصفوة لا يكتب عن حياتهم ، والحوادث التي قضوها ، ومروا بها في أطوار مختلفة من المحطات التاريخية التي واكبوها وسايروها ؛ بل هو مختلف تماماً في هذا المجال عن المؤرخين ، وأصحاب السير الآخرين ؛ تتمركز دراسته على الصورة النفسية التي أدتهم إلى الأداء الواجبي الضخم المسجل في صفحات التاريخ بمداد من الذهب .

جولة في " عبقرية الصِّدِّيق " :

" عبقرية الصديق " هي الحلقة الثانية لهذه السلسلة في الترتيب ، ولكنها هي الحلقة الثالثة في التأليف ؛ فإن العقاد ألفها بعد عبقرية محمد وعبقرية عمر ؛ صدرت لها طبعات مثنى ، وثلاث ، ورباع من البلدان العربية المختلفة ، وإن النسخة التي هي بين أيدينا الآن هي ما أصدرها دار

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب بجامعة بنارس الهندوسية ، فارانسي بالهند . Email: q.shaban٨٢@gmail.com

التقوى للطبع ، والنشر ، والتوزيع في مصر بدراسة إبراهيم الصابر ، ومراجعته ، وتحقيقه عام ٢٠١٦م .

يقارن المؤلف في مقدمته بين الأفكار والنظريات الشائعة حول العالم ، مميزاً بين التوقير المحمود ، والتجميل المصطَنع في تناول مآثر عظيم بين العظماء . وإن العظمة التي يتناولها العقاد بالدراسة والذكر هي التي تتمثل في خدمات العظماء ، وإنجازاتهم الباهرة ، والمُبهرة إزاء الأمة .

وبعد هذه المقدمة الشاملة القوية ، يخوض العقاد حياة الصديق ، مناقشاً اسمَه وصفتَه ، وألقابه ، وشهرته ببيان الأسباب التي يتم بها اكتشافه بكل هذه الأسماء والصفات ، وإليكم ما اكتشفه :

" عُرف الخليفةُ الأولُ في التاريخ بأسماء كثيرة ؛ أشهرها أبو بكر والصديق ، ويليهما في الشهرة عتيق وعبد الله ، وقيل : إنه عُرف بهذه الأسماء والألقاب في الإسلام والجاهلية على السواء ، عُرف في الجاهلية بلقب الصديق ، لأنه كان يتولى أمر الديات وينوب فيها عن قريش ، فما تولاه من هذه الديات صدَّقته قريش فيه ، وقَبِلَته ، وما تولاه غيره خذلته وترددت في قبوله وإمضائه " .

" وعرف بالعتيق لجمال وجهه من العتاقة وهي الجودة في كل شيئ ، وقيل : بل من العتق ؛ لأن أمه لم يكن يعيش لها ولدٌ فاستقبلت به الكعبة ، وقالت : " اللهم إن هذا عتيقك من النار فهبه لي " [1] .

ثم يُعرِّج العقاد إلى بيان تفاصيل عائلته ، والأسماء الأخرى أيضاً ، أمثال عبد الكعبة في الجاهلية ، ثم عبد الله في الإسلام ، ثم يذكر أنه سمي في الإسلام بالصديق ، لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، مستدلاً بحديث الإسراء .

والمحور الثاني الذي يتمحور حوله حديث العقاد هو : الصديق الأول والخليفة الأول ، مستهلاً بجلب القصة التاريخية التي منعت الأمة من شجار كبير ، كما وردت في رواية من أشهر الروايات عن مرض النبي صلى الله عليه وسلم أن مؤذنه بلالاً جاءه يوماً ، وقد اشتد المرض ، فقال صلى الله عليه وسلم : " مروا أبا بكر فليصل بالناس " .

[1] المصدر نفسه ، ص : ١٣ .

قالت عائشة رضي الله عنها : " يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل أسيف [1] ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرتَ عمر ؟ " .

فقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى : " مروا أبا بكر فليصل بالناس " ، ثم أمر ثالثة ، ولما تقدم عمر ، وكبَّر ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوتَه ، سأل : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون " .

وخلال هذا الحديث ، يناقش العقاد أسباب تردد عائشة رضي الله عنها في تبليغ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة أبيها مقامه صلى الله عليه وسلم في الصلاة . وينتقد المستشرقين الذين حاولوا ترويج بعض المزاعم الكاذبة عن عائشة وعمر رضي الله عنهما حول الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويختم نقاشه هذا قائلاً : " لقد كان أبو بكر الخليفة الأول ، لأنه كان الصديق الأول ، ولأن شروط الخلافة التي اجتمعت له لم تجتمع لأحد غيره ، إلخ " .

ويردف قائلاً : " فكان اختياره أصح اختيار ، عُرف في تاريخ الولاية ، وكانت التوفيقات فيها غنية عن التدبير والتمهيد " [2] .

والمحور الثالث الذي يدور حوله الكتاب هو : " صفاته " . إن المؤرخين وأصحاب التراجم ، عادة ، يسجلون صفات من يترجمون له ، مُبلورين قسماته ، وأخلاقه ، وشمائله ؛ ولكن العقاد في وصفه الصِّدِّيقَ لا يكتفي بوصف القسمات ، والأخلاق ، والشيم ، بل يأتي بمواصفات تشبه صفات الصحابة الآخرين رضي الله عنهم ؛ ثم يجلب صفاته الخلقية في الجاهلية ، وصفاته الخلقية في الإسلام : " فأبو بكر الصديق كان أليفاً ودوداً حَسَنَ المعاشرة " [3] . وأروع ما يصفه به العقاد هو : " أنه مطبوع على أفضل الصفات التي تتألف له الناس فيألفونه ، ولم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في إسلامه " . كما يذكر صفاته أيام خلافته ، وصفاته في المجتمع ، وصفاته في السوق ، وصفاته وهو مع رسول الله

---

[1] أسيف ، معناه : رقيق القلب ، كثير البكاء ، ذومرونة وسماحة .

[2] المصدر نفسه ، ص : ٤٤ – ٤٥ .

[3] المصدر نفسه ، ص : ٤٧ .

صلى الله عليه وسلم .

ومن محاور الكتاب محور بعنوان : " مفتاح شخصيته " . وإن أشمل ما يعبر به العقاد عن هذا المفتاح هو أنه : " كان أبو بكر كما رأينا رجلاً عصبي المزاج ، دقيق البنية ، خفيف اللحم ، صغير التركيب " [1] . ثم يقارن بين كرام النحيزة ولئام النحيزة ؛ فالكرم هو الإعجاب بالبطولة ، والإيمان بالأبطال . واللؤم عبارة عن الحسد والكيد . ويفسر العقاد هذا اللغز تفسيراً فلسفياً ، وتفسيراً نفسياً بطريقة تتمثل فيها الشخصية المفتاحية أو الشخصية الرئيسية لأبي بكر الصديق ، فيقرطس :

" أصحاب دقيق البنية ، والمزاج العصبي مطبوعون على الشعور بالعظمة على كل حال من الأحوال ، فإن كانوا كراماً شعروا بها مغتبطين مؤيدين ، وإن كانوا لئاماً شعروا بها محنقين مثبطين " .

ثم يضع العقاد في هذا المضمار محوراً بعنوان : " نموذجان " ، وقبل تمثيل هذين النموذجين العظيمين في تاريخ الأمة الإسلامية ، يشير إلى النموذج النظري المتمثل في النموذج الأفلاطوني ، والنموذج التجريبي المشاهداتي المتمثل في النموذج الأرسطي ، سارداً أمثلة نموذجية حول الأدب ، والفن ، والسياسة ، والتشريع ، والعقيدة ، وفقه العقيدة ، والاقتداء ، والاجتهاد ، والعاطفة ، والعقلانية ، والشجاعة ، والدهاء ، والخيال ، والعمل ، والمحافظة ، والتجديد ؛ فيرى أن معظم هذه النماذج ، والمثل العليا متجلية ومتمثلة في النموذجين الإسلاميين العظيمين ، ألا وهما : نموذج الصديق ، ونموذج الفاروق .

إن العقاد ، من دون ارتياب ، ذو حس لطيف ؛ فإنه يزيح الستار عن هذه النقطة الدقيقة بتعبير فلسفي دقيق ، يحمل في طياته بحراً من المعاني ، فيقول : " أبو بكر كان يُعجب بمحمد النبي ، وعمر كان يُعجب بالنبي محمد " [2] .

ومن المحاور في الكتاب محور بعنوان : إسلامه ؛ يدرس العقاد خلال هذا المحور العقل البشري ، والمجتمع البشري دراسة نفسية للتوصل

[1] المصدر نفسه ، ص : ٦٧ .
[2] المصدر نفسه ، ص : ٩٢ – ٩٣ .

إلى الموانع تجاه تلبية دعوة جديدة ، واعتناق عقيدة جديدة ، ففي رأي العقاد أن الموانع الحائلة هي : الغطرسة ، والسيادة المهددة ، والمصلحة في بقاء القديم ومحاربة الجديد ، وذهن مغلق لا يتفتح للفهم والتفكير ، ومغامسة للشهوات ، وتعصب ، وشعور بقوة سلطان تلك العقيدة ، وجبن ينهاه عن الاجتراء للقبول ، وإيغال في الشيخوخة ، أو حداثة سن ، وذلة مطبوعة ؛ هذه هي الموانع التي تتسبب في رفض دعوة جديدة أو عقيدة جديدة ؛ ولكن أبا بكر رضي الله عنه كان وراء كل هذه الموانع ؛ فلم يَحُل بينه مانع عن أن يؤمن بالدعوة التي جاء بها ، ونادى بها صاحبه صلى الله عليه وسلم ، الذي لم يجرب معه إلا الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، والخلق الكريم ، والإنسانية .

يصف العقاد إسلامه بطريقة مقنعة ثم يخوض محوراً مهماً ذا قيمة فكرية ، وعملية آخر ، ألا وهو : الصدِّيق والدولة الإسلامية ؛ وعلى حد تعبير العقاد :

" إن الدولة الإسلامية تأسست في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، لأنه وطَّد العقيدة ، وسيَّر البعوث ، فشرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حرب الردة ، وشرع السنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث وفتح الفتوح ، فكان له السبق على خلفاء الإسلام في هذين العملين الجليلين " [1] .

وإن أبا بكر – من دون ريب – أول المسلمين ، وكما هو أول من أسلم على يديه كبار القادة ، وأبطال الصحابة ، أمثال عثمان بن عفان ، والزبير ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن مظعون ، وغيرهم الكثير . وأبو بكر أول من اشترى الكثير من العبيد والإماء ليحررهم من براثن الظلم والاضطهاد ؛ وهولاء هم الذين اعتنقوا الإسلام إثر ما شموا الرائحة الطيبة للحرية . فمن لايعرف قصة تحرير مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا بلال بن رباح . وأبو بكر هو أول من حارب قريشاً بعلمه للأنساب ، كما حاربهم بماله ،

[1] المصدر نفسه ، ص : ١٤٤ .

وسلاحه ، ومشورته ، ورأيه . وأبو بكر هو من نفّر جيش أسامة رغم الخلافات فيما بين كبار الصحابة ، وجنازة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه . وأبو بكر هو من قام بحرب الردة من دون رأفة ورحمة ومن دون سماحة ومرونة ، ثم بعث بعوث العراق والشام رغم أنوف الأعداء .

يلخص العقاد كل دور من هذه الأدوار السيادية والقيادية والسياسية لإقامة الدولة الإسلامية القوية ، ولزلزلة كيان الردة والنفاق والشقاق في شرح معنى الطاعة في قصة بعثة أسامة رضي الله عنه :

" بعثة أسامة كانت العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الإسلامية ، هي في ذلك الحين خير السياسات ؛ كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت الطاعة – جد الطاعة – مناط السلامة ، وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين " [1] .

وهكذا ، هذا هو أبو بكر الصديق الذي هو الخليفة الراشد الأول ، ومؤسس الدولة الإسلامية القوية إلى أن تولاها الخلفاء الراشدون من بعده من عمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعاً .

ومحور " الصديق في بيته " يبلور جميع الجهات العائلية من الاعتناء بأصحابها ، والرأفة معهم . وإن الصديق في تأدية حقوق أعضاء الأسرة لا يؤدي واجبه فحسب ، بل هو مغتبط ، ومتراض ، ومتطوع ، ومحتسب ، ومستأنس مخلص أيضاً في جميع ما يؤديه من واجبات . وذلك ما يبعث العقاد على أن يلقبه أحياناً بـ " رجل البيت " وأحياناً بـ " رجل الأسرة " . ومن لا يدري كيف كان أبو بكر رضي الله عنه قام بتربية ابنتيه عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ، وأسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما ، اللتين كانتا نموذجين للتضحية ، والفداء ، والاستماتة في سبيل نشر الدين الإسلامي ، والدعوة الإسلامية . وخلال هذه المواصفات ، ينتقد العقاد المستشرقين ، والنقاد الأوربيين ، الذين حاولوا تشويه شخصية عائشة رضي الله عنها ، كأنها جارية صغيرة ،

[1] المصدر نفسه ، ص : ١٤٨ .

ولعبة صغيرة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ليُدللها .

ويختم العقاد حلقة " عبقرية الصديق " في محور " صورة مجملة " أن أبا بكر أمين في الصداقة ، وأمين في الحكومة ، وأمين في السيرة ، وأمين في المال ، وأمين في الإيمان ، بل هو في كل الأمور أكثر من الأمين ؛ أكثر من الأمين في الجاهلية ، كما هو أمين مُفضِل ومحسن ومغيث في الإسلام .

الخاتمة :

عاش العقاد حياته معلماً ، ومؤرخاً فيلسوفاً ، وناقداً خبيراً ، ومؤلفاً من طراز عديم النظير ، وصحافياً محنكاً . وعندما يكتب عن العظماء – كما رأيناه في كتابة عبقرية الصِّدِّيق – ، يمركز فكره على تحليل الموضوع تحليلاً نفسياً وفلسفياً – ولا تحليلاً تاريخياً – ، ولكنه يتعامى عن دقة ما ينقله أو يستند إليه من الروايات ، والآثار ، والحقائق التاريخية ؛ فنجد في كتابه من الروايات المأثورة مما هو من قبيل الضعيف أو الموضوع ، ولا يعني ذلك أن معظم ما يستند إليه ضعيف أو موضوع . وأما أسلوبه فهو ليس أسلوباً علمياً محضاً ، ولا أسلوباً أدبياً محضاً ، ولا أسلوباً خطابياً محضاً ؛ فيشعر القارئ في قراءة كتابه بمتعة الأدب مع المسحة العلمية ، وبمتعة التاريخ مع المسحة الفلسفية ، وبمتعة التحليل النفسي مع المسحة الفكرية . ومن المفردات التي طالما يستخدمها أو التعابير التي تتكون بها عباراته ليست من السهل اليسير ، ولا من السهل الممتنع أيضاً ، إنما له أسلوبه ؛ الذي تمكن من إنتاجه بثقافته الواسعة المعمقة ، وبممارساته الدقيقة . وإنه يقارن في كتاباته مع من يقارن ، كما ويستدل بالمصادر ، والوقائع الأجنبية . ولا يمر بأفكار المستشرقين ، والنقاد الغرب ، الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام ، وتشويه صور العظماء الإسلاميين مرور الكرام أبداً ؛ لقد رأيناه في عبقرية الصديق منتقداً الشيوعيين ، والمستشرقين ، والكتاب الغرب من دون هوادة ، ومن دون إعجاب بهم . فمثله في هذا المضمار ليس كمثل الكثير من الكتاب المتأثرين المعجبين بما كتبه الغرب من تاريخ ، وفلسفة ، وأدب ؛ ولاشك أنه هو شموخ العقاد ، وموضوعيته العلمية في الكتاب .

أثر التيارات الفكرية في ظاهرة الأدب المعاصر

بقلم : أ . د . مفيدة إبراهيم علي عبد الخالق *

يواجه المجتمع العربي اليوم موجةً استعماريةً جديدةً لا تقل خطراً عن الموجات السابقة التي تعرض لها من قبل على مدى تاريخه الطويل .

ويكمن خطر تلك الموجة في التوقيت الذي اختارته لهجمتها ، فقد جاءت والمجتمع العربي في أشد حالات ضعفه ، إذ يعاني غياباً حضارياً يتمثل في فشله في تحديد وجهته وتمييز هويته واختيار ثقافته وضعف انتمائه لتراثه وعقيدته مما هيأ لهذه الموجة فراغاً امتدت فيه ثقافيّاً وحضاريّاً واجتماعياً وسياسياً .

لقد كان الأدب قديماً ولا يزال حديثاً ، يمثل دوراً خطيراً في حياة المجتمعات وتذوقها ، فالأدب ظاهرة عامة بمعنى أن أفراد المجتمع كلهم يتذوقونه أو على استعداد ظاهرة جمالية وصورة مشتركة للناس جميعاً ، وأن تأثيره يدخل كل نفس فتجد فيه راحتها واستجمامها من عناء الحياة والمطالب الحياتية .

والظاهرة الأدبية تسيطر على الأفراد بشكل لا يستطيعون الخروج عليها أو تحديه .

ويفسر " دور كايم " ذلك بقوله : إن شعور الفرد ليس هو المنبع الذى تفيض منه الظواهر الاجتماعية – أو على حد تعبيره التيارات الاجتماعية – وإنما تأتي هذه الظواهر من الخارج فتتسرب إلى شعور كل فرد ، على الرغم منا ، ومن هنا كانت الموضوعية والميزة .

ومن جهة أخرى نجد الظاهرة الأدبية كغيرها من الظواهر الاجتماعية ، تتشكل وتتخذ سماتها المميزة من عقائد وعادات الجماعة بكل أحوالها ، فتثبت بالتكرار والتعود ، وبهذه القهرية أو الجبرية لا يشعر بها أى فرد في المجتمع ، وهى قهرية أيضاً في الأديب نفسه بدليل بسيط ، وهو أن أديباً أو شاعراً مصريّاً لن يستطيع التعبير عن البيئة الإنجليزية مثلاً ،

* أستاذ الأدب والنقد وعميد كليات الدراسات الإسلامية والعربية ، جمهورية مصر العربية

لأنه ليس عضواً في المجتمع الإنجليزي ، وليس معتاداً عاداته وتقاليده .

وخروج الظاهرة الأدبية من بيئتها إلى عامة المجتمع الإنساني يخدمها في الواقع ولا يضر بها ، إذ أن الأدب يمتاز بأنه للحياة ، كما يمتاز بأنه للمجتمع باعتبار أن له نمطاً ثقافيّاً معيناً يميزه عن غيره من المجتمعات .

كما تتصف الظاهرة الأدبية بأنها تاريخية ، فهى تراث اجتماعي وتاريخي في آن واحد ، وتاريخ الأدب يمثل جزءاً من الدراسات التاريخية ؛ لأنه يحتوي على معلومات قيمة تصور لنا عادات أهل هذه الأمة وتقاليدهم ، وترسم لنا صورة صادقة عن ذوقهم وما سادهم من نظم اجتماعية .

فالمطلوب من كل إنسان أن يحمل حضارته وعقيدته ومبادئ مجتمعه ليعرف مركزه في الحياة وعلاقته بالكون والغرض الذى من أجله خلق ، وهذه المبادئ هي الموجهة لأفكار الإنسان وسلوكه وسائر تصرفاته ، ولا يمكن التخلي عنها في شأن من الشئون ، وحيث إن الإنسان اجتماعي بالطبع ، فمن البديهي أن تكون القصيدة والمقالة وغيرهما هى الموجهة له في بناء المجتمع والنظام الذى يختاره له والأساس لإقامة مجتمع بشري متوازن .

ومن الممكن أن يدرك كل إنسان وأن ينفعل كذلك بأية حادثة عيانية مشهودة ، وهذه ظاهرة عامة يتناولها الأدب وينفعل بها ويعبر عنها كل من لديه قدرة على التعبير والمشاركة الوجدانية مع كل متطلبات المجتمع التي ينطق بلسان حاله .

ومن هنا كانت أفكار كل من الكاتب والشاعر وآراؤه منتمية بطبيعتها إلى الجماعة التي يعيش فيها ونابعة بطبيعتها من البيئة التى يتشكل بها . ومن ثم فإن الشاعر يتمثل نظمها فيسير وفقاً لها لا يحيد عنها ولا يخرج عليها . ومن السهل أن نجد في بعض الأعمال الأدبية الإنجليزية صدى في الشعب الفرنسي أو المصري مثلاً ، لأن هناك ظواهر بشرية مشتركة بين الجنس البشري كله كالغرائز الأساسية وما يتفرع منها من إحساسات وعواطف كعاطفة الحب وعاطفة الشفقة أو الخوف أو الغيرة أو غير ذلك .

إن الأديب أو الشاعر من أمته ، وهو يذيع أفكارها ومشاعرها وكل ما يؤثر فيها من أحداث ظاهرة أو باطنة ، وعليه أن يتغلغل إلى الصميم من نفسه ومن الوجود وأسراره وأن يؤدى ذلك في قيم تمتع النفوس

والقلوب والأرواح .

ولا شك في أن شخصيات كثيرة كان لها أثرها على جبين العصر فضلاً عن تأثيرها في وجدان المجتمع ، ولكن الذى لاشك فيه أيضاً أن شخصيات بعينها كانت صرخاتها أعلى وصيحاتها أقوى بحيث لا يمكن إغفالها أو تغافلها .

وذلك عندما اتصل هؤلاء الأدباء بوجدان المجتمع ، وكان التفاعل معه تفاعلاً مباشراً أو غير مباشر في توجيه الأفراد مع استبصار واع بحركته وتفاعل مع همومه وقضاياه ، وهنا تبرز قضية الالتزام ومدى موقف الشاعر والأديب المعاصر منها .

ويُراد بالتزام الأديب وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في القضايا الاجتماعية والإنسانية والسياسية وفيما يعانيه من آلام وما يبنيه من آمال

وانعكاس ذلك وصداه في مرآة الشعر والنثر ، وكذا الظروف التى يمر بها المجتمع من المساوئ والسلبيات وانعكاسها بدورها على الحياة الفكرية وما يسودها من ضغوط ، وفى خضم هذه الضغوط احتل الجانب التوعوي الجانب الوجداني في الأدب العربي الحديث في مصر خاصة مكانة بارزة بين فنون الشعر الأخرى ، فكانت مصر هى المحور السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، مصر هي الشغل الشاغل للشعراء والأدباء المعاصرين الذين وقفوا طويلاً عند التيارات الفكرية المختلفة يدفعهم في ذلك حب عميق وعاطفة متأججة وأمل في غد أفضل .

ولهذا كان الالتزام التوعوي ضرورة قومية واجتماعية تقع على كاهل الشاعر والأديب المؤمن بقضايا مجتمعه وواقعه الذى يحياه ، وذلك معناه ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره وقضاياه حتى يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى ما هى رازحة فيه وتوعيتها بواقعها في مواجهة المعاصرة وغياب مفهوم الحوار في ظل معزوفة الصراع والمناورات والاتهامات التي طمست فكرة محاولة تعرف أنصار كل تيار على أبجديات فكر التيارات الأخرى .

وبهذا تتحدد رسالة الأدب ، فكما أنه تعبيرٍ عن النفس في آناتها وأحلامها وآمالها ، فإنه أيضاً لابد أن يكون تعبيراً عن الجموع في كل الظروف الحياتية .

الأستاذ حبيب الحق الندوي أحد الأعلام الندويين

الأستاذ طلحة نعمت الندوي *

كان الأستاذ الفاضل حبيب الحق الندوي من كبار الأفاضل والمحققين المصنفين الذين قاموا بخدمات جليلة ، للدفاع عن حوزة الدين وخلفوا تراثاً علمياً قيماً .

كان من السلالة الهاشمية الفاطمية ، والأسرة العلمية القديمة من بلدة باره – بسكون الراء الهندية الشديدة والهاء المنفسة – التابعة لمدينة بتنة الشهيرة ، وكان والده الأستاذ منصور الحق من الأفاضل ، كما كانت أسرته أسرة علمية ، وكان جده من أمه كذلك من كبار المستفيدين من الشيخ محمد المونكيري مؤسس ندوة العلماء .

وُلد الأستاذ في هذه البلدة ونشأ في كنفه أبويه ورجال أسرته ثم التحق بالمدرسة الإسلامية الشمسية ببتنة بمقربة من وطنه ، وهناك بقي يتعلم عدة سنوات ، ومن بين من استفاد في مدينة بتنة من الأساتذة الشيخ عبد الرشيد الفوقاني النيموي ابن المحدث الشهير ظهير أحسن النيموي ، وقد أجازه بالحديث المسلسل بالأولية التي حصلت له إجازته من والده ، كما ذكر الأستاذ في كتابه " فكر وفن " ، وحصل على مبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ثم سرعان ما التحق بجامعة ندوة العلماء الشهيرة في لكناؤ ، وأصبح في ما بعد يعرف بالنسبة إليها ، عاش الأستاذ في هذه الجامعة يستفيد من علمائها ويتنفس في جوها العلمي ويستنشق منه ، حتى قضى سنوات وأكمل المرحلة العالمية سنة ١٩٤٩م ، ثم عاد إلى وطنه واشتغل باكتساب الدراسة العصرية والإنجليزية فدخل في جامعة بتنة وبعد دراسة سنتين حصل على شهادة البكالوريس في سنة ١٩٥٤م ثم حصل على شهادة الماجستير منها سنة ١٩٥٦م ، ثم انتقل إلى باكستان ، والتحق بجامعة السند بكراتشي ، وحصل منها على شهادة الماجستير في اللغة الإنجليزية سنة ١٩٦٢م ، ثمّ عين بها أستاذاً محاضراً في قسم اللغة العربية وقضى هناك عدة سنوات ثم توجه إلى الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة هارفارد الشهيرة ثم عاد منها ، وخلال إقامته بجامعة كراتشي كان قد بدأ يكتب بحوثاً علمية

* استهانوان ، بهار – الهند .

حتى أنشأ لها مجمعاً باسم " أكيدميا " ، واسمه الكامل " مؤسسة العلوم الإسلامية والدراسات في آسيا والشرق الأوسط " ، وحاول تقديم البحوث للناس وإخبارهم بسير الأحداث في العالم الإسلامي وإيقاظ وعيهم وتعبئة شعورهم ، ثم توجه الأستاذ إلى جامعة هافارد ، والتحق بها وحصل على شهادة الماجستير والدكتوراة منها ، مع نشاطه الديني والعلمي هناك ، كما رأس هناك عدة سنوات لمجمع إسلامي ، ومثّل المسلمين في عدة مراكز علمية وجمعيات الأمم والدول ، كما بدأ يكتب هناك مقالات يعرّف أهلها بحقيقة الدين الإسلامي بالإنجليزية ، ثم عاد الأستاذ بعد ست سنوات قضاها هناك ، كما يخبرنا بنفسه [1] إلى جامعة كراتشي ، ويخبرنا كذلك أنه كان قد أنشأ ذلك المجمع العلمي في كراتشي سنة ١٩٦٤م ، اشتغل الأستاذ هناك أستاذاً ومحاضراً في قسم اللغة العربية إلى نحو ١٩٧٧م ، وفي نفس السنة دعاه الأستاذ الدكتور السيد سلمان الندوي صديقه الذي كان أستاذاً في جامعة دربن بإفريقيا الجنوبية بقسم الدراسات الإسلامية ، لينشئ هناك قسماً للغات الشرقية العربية والفارسية والأردية ، وبما أنّ الأستاذ الندوي كان خبيراً بهذه اللغات مع قدرته على اللغة الإنجليزية ، فلم يكن أحد أحق بها منه ، فاستجابة لطلب صديقه غادر جامعة كراتشي إلى جامعة دربن ، وبدأ عمله هناك كمحاضر ، مع نشاطه العلمي وتحمسه في كتابة البحوث العلمية القيمة ، ولم يزل على هذا نشيطاً في أعماله حتى توفي في ٩ شوال سنة ١٩١٤ الموافق ٦ فبراير ١٩٩٨م وبها دفن .

خدماته :

عاش الأستاذ أستاذاً ومحاضراً في كل من جامعة كراتشي وجامعة السند بمدينة كراتشي وجامعة هارفارد الأمريكية وجامعة دربن بمدينة دربن بجنوب إفريقيا ، ولكنّ جهوده الحقيقية إنما تنحصر في إيقاظ الوعي والشعور في المسلمين تجاه مخططات أعداء الإسلام وقضايا المسلمين في العالم ، وقد زادته جولاته ورحلاته الواسعة في الشرق والغرب وإقامته بالثاني مدة خبرة بهذه الأوضاع ومعرفة بهذه القضايا مع زيادة اليقين بدينه وخلود الرسالة التي جاء بها النبي عليه السلام ، فصرح في كثير من المؤتمرات بأنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد ، كما بيّن مؤامرات اليهود والنصارى وكشف عن دسائسهم ، وبرهن بأنّ قول الله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) حقيقة صادقة يصدقها

[1] فلسطين ، ص ١٨ .

التاريخ الإسلامي عبر سيره الطويل ، فلا حاجة الآن إلى الاغترار بمكائدهم ، ومعظم مؤلفاته يدور حول هذا الموضوع ، وأهمها وأضخمها قضية فلسطين والمؤامرات الدولية في اللغة الأردية ، وكانت القضية شغله الشاغل ، حتى عُرف بها ، فلما بعثت حكومة باكستان إلى ليبيا وفداً ليشارك هناك في مؤتمر حول القضية اختارته رئيساً له ، كما ذكره هو في الكتاب الآنف الذكر .

ومع ذلك قام بإلقاء المحاضرات في الشريعة الإسلامية في بعض الجامعات من جنوب إفريقيا ، كما شارك في بعض المؤتمرات حول الأحوال الشخصية الإسلامية في بلاد جنوب إفريقيا ، فعرض القانون الإسلامي والأحوال الشخصية للمسلمين بأحسن ما يمكن ، وأقنع الحكومة بالاعتراف به للمسلمين ، وذلك في سنة ١٩٨٧م ، وشارك كذلك في الندوات الدولية والمؤتمرات العالمية العلمية حول عدة موضوعات علمية وقام بإلقاء بحوث قيمة فيها ، ومثل للإسلام والمسلمين خير تمثيل ، كما كان قد أنشأ خلال إقامته في جامعة هافارد مجلة إسلامية بالإنجليزية ، باسم Harvard Islamic Gazette و Islamic Perspective خلال إقامته في جامعة كراتشي ، ثم لما انتقل سنة ١٩٧٥م إلى جامعة دربن بجنوب إفريقيا ، قام بنشاطاته هناك ، وأصدر كذلك مجلة بالإنجليزية للمذاكرة حول أوضاع الشرق الأوسط والعالم الإسلامي ، كان اسمها Arabic Studies .

كما قام في الأردية كذلك بإدارة جريدة " ساتهي " الأردية الصادرة من كراتشي والجريدة الأسبوعية " رهنما " ، وكذلك كان في الهيئة الاستشارية والإدارية لكثير من المجلات العربية والأردية ، وكذا كان يكتب في مجلة الاجتهاد الإنجليزية ، كما أنه عقد كثيراً من المؤتمرات المهمة حول السيرة النبوية والتعليم في جنوب إفريقيا ، وزار البلدان العديدة من الشرق والغرب وشارك في المؤتمرات أو ناقش العلماء هناك حول القضايا الإسلامية ، منها معظم الدول الأوربية من المملكة المتحدة وفرنسا وكندا وأستراليا وأسبانيا وكذا بلدان الشرق الأوسط العربية ، وفي مدينة دربن أنشأ كذلك مؤسسة للدراسة في اللغة العربية والأردية والعلوم الإسلامية .

أما مؤلفات الأستاذ فكما أسلفنا معظمها يدور حول قضايا المسلمين والغرب ، وقد كتب معظمه بالإنجليزية أو الأردية ، وأهم مؤلفاته

كما يأتي :

في الأردية له مجموعات مباحث ، منها فكر وفن ، وإسلام كا نظريه أدب (الأدب في منظور الإسلام) ، الإسلام والمستشرقون ، هذا بحث طويل علمي له ، فلسطين أور بين الأقوامي سياست (فلسطين والسياسة الدولية) ، باكستان مين فروغ عربي (تطور اللغة العربية في باكستان) ، وله مجموع مقالات في الشعر والأدب والاجتماع والتاريخ الإسلامي في الأردية باسم " قرآن كريم كا جماليا تي تصور اور شعري وأدبي نقطه نظر " (رؤية الجمال في القرآن الكريم ووجهات أدبية وشعرية مختلفة) ، وقد شرح الأستاذ في هذا المجموع في عدة مقالات له نشرت في مجلات علمية راقية عن الوجهات المختلفة التي مرّ بها الأدب العربي المعاصر ، وكيف تأثر الأدباء العرب بآراء الغرب ، رغم أنهم كانوا في غنى عنها لثروتهم الأدبية القوية ، وكم كانت الحاجة ماسّةً إلى تقديم الفكرة الإسلامية إلى الغرب ، واستعرض الآراء والوجهات المختلفة لكبار أدباء الغرب في الأدب والجمال والفن ، مما يقدمه لنا كخبير بالتراث الأدبي الغربي والإسلامي معاً ونظراته الواسعة على كلا الأدبين كما نشاهد في شخصيته بهذه المقالات أحد رواد الأدب الإسلامي الذي يعتز بتراثه ويفتخر بأمجاده مثل رجال جامعته جامعة ندوة العلماء التي هي خير ممثلة للأدب الإسلامي البناء في كلتا اللغتين العربية والأردية عبر سيرها الطويل ، وآراء أفاضلها مما لا يخفى على أحد ولا يختلف فيه اثنان ، وذلك يكاد يلمس من أول تاريخها في كتابات أدبائها من أمثال العلامة شبلي النعماني وتلامذته العلامة السيد سليمان الندوي والأستاذ عبدالسلام الندوي والأستاذ معين الدين أحمد الندوي والأستاذ مسعود عالم الندوي والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي والشيخ عبد السلام القدوائي الندوي ومن جاء بعدهم .

وله كذلك ترجمة من العربية إلى الأردية لكتاب الأستاذ طه إبراهيم في النقد الأدبي باسم أدبي تنقيد كا ارتقاء أي تطور النقد العربي .

وله في العربية ابن الرومي ومعاصروه :

أما في الإنجليزية فقد كتب كثيراً بل معظم كتاباته في تلك اللغة التي كان يجيدها ويتقنها أكثر من غيره من كثير من أفاضل

العلوم الإسلامية ، فأشهر كتبه في الإنجليزية كما يأتي :

Bosnia Bleeds While the Muslim World Sleeps

Muslim Russia

Arabic Aesthetics and Poetics

The Holy Prophet of Islam and the Orientalists

Islamic Legal Philosophy and the Quranic Origins of Islamic Law

The Dynamics of Islam

Islamic Resurgent Movements in the Indo-Pak Subcontinent

Fourteen Centuries of Islam

Medical Philosophy in Islam

Problems of Safeguarding Muslim Personal Law No Muslim Minority Countries .

وقد ذكر بنفسه بعض كتبه التي لم تزل في مرحلة الإعداد ، ولا نعلم مصيرها .

A Century of Nadwa

The Genius of Hazrat Maulana Abul Hasan Ali Nadwi

The Dynamics of Islamic Education

Urdu Aesthetics and Poetics

Aesthetics of Allama Iqbal

Islamic Philosophy

Persian Aesthetic and Poetics

Scientific and Technological Advanced of the Muslims in the ٢١ Century

Ijtihad as the Principle of Islamic Dynamism

Islamic Personal Law in South Africa

The Transformation of Islamisation of Muslim Education

Islamic Prohibition of Narcotics and Gambling

Hermeneutics of the Quran

كما ذكر في بعض كتبه الأخرى الكتب الآتية التي كانت

تحت الطبع [1] .
Stolen Legacies [2] .

ذكر فيه ما استفادته أوربا من المسلمين .

كما ذكر من كتبه غير المطبوعة تطور النقد الأدبي في الإنجليزية ، أي مقارنة بين النقد العربي والنقد الغربي ، في ثلاثة مجلدات ، تاريخ الأدب العربي المعاصر ، آثار النقد الأدبي العربي على النقد الأردي ، الفلسفة الجديدة للآداب واللغات ، إسهام اللغة العربية والفارسية والأردية في تطور الثقافة العالمية .

مكانته العلمية :

كان الأستاذ الندوي يملك نظرات واسعةً حول العلوم الإسلامية وتاريخ العالم الإسلامي والفكر الإسلامي والأوضاع الراهنة ، وكان الأدب العربي وعلم الألسنة موضوعه الذي كان قد تخصص فيه ، وذلك ما دفعه إلى الكتابة عن الأدب الإسلامي والمقارنة بين الأدب الإسلامي والأدب الغربي ، وخلف في ذلك تراثاً قيماً في اللغة الإردية .

كان الأستاذ يتقن ثلاث لغات : العربية والفارسية والإنجليزية ، ونفث يراعه في تلك اللغات الثلاث ، كما كان يعرف اللغة الفارسية واللغة الفرنسية ، ولعله كان يعرف اللغة الألمانية كذلك وكان قد تعلم اللغة العبرانية [3] ، ولكنه اختار للتعبير عن آرائه والكتابة اللغتين الأردية لغته الأم والإنجليزية اللغة العالمية ، أما اللغة العربية فلعله كتب فيها مقالاً أو مقالين فحسب ، ولكن مقالاته تدل على أنه كان صاحب نظرة في الأدب العربي والشعر العربي وإعجاز القرآن الكريم كذلك مع نظراته على علوم الغرب ومقارنته لعلوم المسلمين بها .

أخلاقه وورعه :

ومع كلّ ذلك كان الشيخ عالماً ربانياً ذا أخلاق كريمة ومروءة ولين ، وكان يحضر في نهاية عمره أستاذه الشيخ أبي الحسن علي الحسني

[1] في بداية من كتابه فلسطين في الأردية .
[2] ذكر هذه الكتب في مجموع مقالات له بالأردية .
[3] أخبرتني بمعرفته لهذه اللغات ابنته الفاضلة السيدة لبنى أحد الأساتذة في جامعة من إفريقيا الجنوبية .

الندوي وينال منه التربية الروحية ويستفيد منه في التزكية والإحسان .

وقد كتبت مجلة البعث الإسلامي على وفاته :

" نعت الأنباء الواردة من جنوب إفريقيا في الأسبوع الأول من شهر شوال ١٣١٨هـ أحد أبناء ندوة العلماء النجباء وهو الدكتور السيد حبيب الحق الندوي أستاذ القسم العربي والعلوم الشرقية بجامعة دربن في إفريقيا الجنوبية ، وقد كان النعي مفاجئاً بعد نوبة قلبية وباعثاً على الدهشة والاستغراب ، ذاك أن السيد حبيب الحق كان دائم الاتصال برجال ندوة العلماء ونشاطاتهم ، فكان يشارك الندوات ويشاطر في أعمال وبرامج رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وكان يعيش معهم ويهتمّ بكلّ ما يرد ويصدر إليه باسم ندوة العلماء وأبنائها النجباء ، وبينما كان التبادل العلمي والفكري والثقافي مستمراً بيننا وبينه ، إذ فوجئنا بهذا النبأ الأليم فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان للفقيد باع طويل في العلوم الإسلامية والمعارف الأدبية والثقافات العصرية ، يشغل جميع أوقاته في الأعمال العلمية والأدبية والبحث عن الجديد الأجد في عالم العلم والثقافة ، ويستفيد من كلّ ما كان يصدر من الأقلام الرفيعة في هذا المجال ، ويضيف بذلك إلى خدماته العلمية والأدبية جوانب ذات أهمية من مستوى عال جداً ، فإذا قمنا باستعراض سريع لبعض أعماله العلمية والثقافية وجدناه حائزاً على درجة ممتازة فيها ، فقد كان عضواً كبيراً في كثير من الجمعيات والمجامع العلمية العالمية ، ومتجولاً في أنحاء العالم المختلفة وجامعاته لإنجاز الأعمال الأكاديمية والتحقيقية ، وله مؤلفات قيمة باللغة العربية والإنجليزية والأردية ، منها ابن الرومي ونقاده ، وفلسفة القانون الإسلامي ، وفلسفة الطب في الإسلام ، الفكر والفن ، نظرية الإسلام نحو الأدب ، الإسلام والمستشرقون وما إلى ذلك من كتب علمية عديدة ، كما كان بارعاً في مجال الترجمة والتعريب .

أمّا المناصب التي شغلها فهي على ما يأتي :

رئيس القسم العربي بجامعة كراتشي (باكستان)

رئيس الجمعية الإسلامية في جامعة هارفارد وأستاذاً للغات الشرقية فيها

كانت وفاته خسارةً كبيرةً للأوساط العلمية والدينية والثقافية في الهند وخارجها على السواء ، ووقع بذلك فراغ علمي كبير لا يسدّ بسهولة " [١] .

[١] البعث الإسلامي ، مارس ١٩٩٨م .

الأديب فخر الدين قباوة وجهوده العلميّة

الأخ عبد الوهاب الشكوري*

فخر الدين قباوة بن نجيب ، وجدّه عمر ، ولد عام ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م في مدينة حلب من سوريا ، كان أبوه وجده من عامّة الناس ، صاحبي مقهى شعبي في شارع السيد من مدينة حلب [١] .

كانت عند والده مكتبة صغيرة جمع فيها بعض المؤلفات الإسلامية والأدبية منها حاشية ابن عابدين ، وتفسير البيضاوي ورياض الصالحين وجواهر الأدب وتفسير المنامات ، يستفيد من هذه الكتب لبيان بعض الأحكام للإخوة الأقارب ، كما كان يفسّر بعض الآيات والأحاديث والأحلام للأحباب والمعارف ، إلى أن اضطرّ ببيع بعض الكتب لعلاج مرضه الصعب الذي أدّى إلى وفاته – رحمه الله – [٢] .

وأما والدته فقد كانت من المسلمات المؤمنات ، وكانت عامية ، وتعاني بعض الأمراض المختلفة ، ولكن كانت صابرة شاكرة متمسكة بالأدعية والأذكار .

والبيئة التي قضى فخر الدين طفولته فيها كانت بيئةً ممزوجةً من المسلمين والنصارى . وكان النصارى متأثرين بحياة المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم وآدابهم فيقلدونهم في المأكل والمشرب والملبس .

بدأ تعليمه الابتدائي من المسجد حيث تعلم تلاوة القرآن الكريم مع التجويد ، وحفظ من القرآن ما شاء الله أن يحفظ عند أستاذه الشيخ حسين رحمه الله . ثم تلقى مبادئ الدراسة الابتدائية من القراءة والكتابة والحساب والنحو والصرف .

وبعد ملازمة تلك المساجد الكريمة حضر الاختبارات للمعلومات الأساسية في القراءة والكتابة والنحو والحساب في مدرسة المعارف الابتدائية بحلب ، وقد نجح في هذه الاختبارات ، واستطاع أن يلتحق بالصف الثاني في تلك المدرسة وواصل دراسته وقد حصل فيها على شهادة

* باحث في قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ .

[١] سيرة الدكتور فخر الدين قباوة ، دار المخطوطات العربية ، إستنبول ط ٢٠٢١م ،ص ٣ .

[٢] فخر الدين قباوة ، الهجرة بالدين والجهاد بالعلم ، مخطوط ، ص ٥ .

الابتدائية عام ١٩٤٤الميلادي [١] .

ثم التحق بكليّة الآداب من جامعة دمشق على نفقة وزارة التربية ، ونال فيها الإجازة في علوم اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٥٨م ومارس التعليم في المدارس الثانوية . ومع هذا فقد تابع الدراسات التربوية والأدبية ، فنال الدبلوم الخاص (التخصص) في الإدارة والتفتيش التربوي من كلية التربية بجامعة دمشق ، وشهادة المرحلة التمهيدية للدراسة العليا (التخصص) من كلية الآداب بجامعة القاهرة معاً سنة ١٩٦٠م ، وأعدّ لنيل درجة الماجستير (الباحث) أطروحة (التفتيش التربوي في البلاد العربية حتى عام ١٩٦٨م) بجامعة دمشق ، ولكنه أوفد على نفقة وزارة التربية السورية إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراة (العالمية) فالتحق بها ولم يتابع نيل الماجستير (الباحث) من دمشق ، فحصل في الأدب القديم على درجة الماجستير (الباحث) سنة١٩٦٤م ، والدكتوراة (العالمية) سنة ١٩٦٦م [٢] .

أساتذته في الأدب العربي :

تلقى اللغة العربية وآدابها من أشهر أدباء العربية في عصره في سوريا ومصر ، الذين لعبوا دوراً هامّاً في ميدان الأدب والدعوة والفكر والتجديد ، وكانوا من المتخصصين في فنّهم كما كان لهم باع طويل في التأليف والتصنيف وتربية الرجال ، وكانوا مشهورين في الأوساط العلمية والأدبية ، منهم : سعيد الأفغاني ، وشوقي ضيف ، ومحمد المبارك ، وصبحي الصالح ، وعبدالوهاب التونجي ، وعمر فروخ ، وحسين النصّار ، فتعمّق في علوم العربيّة في النحو والبلاغة وكلّ ما يتّصل بالبحث والتحصيل ، مما انعكس على تأليفه ، فكانت له عشرات الكتب والمؤلفات التراثية المحققة .

تدريس اللغة العربية :

لمّا أكمل الدكتور فخر الدين قباوة دراساته بدأ حياةً علميّةً جديدةً ، حياةً كلّها حافلة بالجدّ والاجتهاد والعمل والنشاط ، وكان فضيلته يحبّ التدريس حتى يعمّ النفع ، لذلك لم يلتفت إلى مناصب أخرى

---

[١] فخر الدين قباوة ، المرجع السابق ، ص ٩ .

[٢] ترجمة ذاتية بقلم الدكتور فخر الدين قباوة ، على موقع رابطة العلماء السوريين . Islamsyria.com تاريخ النشر : الأحد ٢٤ ربيع الأول ١٤٤٠هـ ، ٢٠١٨م ديسمبر ، تاريخ الزيارة : ٣/٨/٢٠٢٣ ، ساعة الزيارة : ٢٠:٤٥ . وسيرة الدكتور فخر الدين قباوة ، دار المخطوطات ، إستنبول ، ٢٠٢١م ، ص ٥ .

وبذل في هذا السبيل كلّ نفيس وغال وهكذا تلألأت مواهبه وقدراته .

وقد علّم تلاميذه القراءة والكتابة والنّباهة والنجابة كما كان يهتمّ بتعليم أمور دينهم وتأديبهم وتهذيب أخلاقهم ، وكان يتحفهم بالنصائح والتوجيهات الصائبة في سبيل العلم . وكان الطلاب يشعرون في درسه بذوقه الأصيل للأدب والشعر وأخلاقه الحسنة السّامية ، وهو لم يكن مدرّساً تقليديّاً ، ولا متبعاً مناهج التدريس اتباعاً أعمى بل كان يبتكر في طرق التدريس . ولم يكن يقتصر على إيصال المعارف إلى أذهان التلاميذ ، بل يضعُ لهم الخطط للدّراسة بحيث يمكنهم أن يستغنوا عنه .

والأستاذ فخر الدين قباوة قام بالتدريس في عدد من الجامعات والكليّات داخل سوريا كما درّس وحاضر في بعض الجامعات خارج سوريا في البلدان المختلفة .

وقد شارك في عدد من المؤتمرات العلميّة والأدبيّة بدعوة من الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية والبحثية داخل سوريا وخارجها مثل المملكة العربيّة السعودية ، والإمارات المتحدة العربي ، والكويت ، وتركيا وإيران ولبنان وبلاد الصين ، وألقى محاضرات علمية ، أدبيّة ، حافلة بالمعلومات العلمية النّادرة التي أصبحت محطّ إعجاب الحاضرين . وقد ناقش فيها جوانب مختلفة في علوم اللغة العربية وآدابها ، وتحدّث عن أهميّة هذه اللغة المباركة وطرق تنميتها ونشرها في العالم . كما قدّم آراء قيّمة حول الأدب والإعراب والصرف والنحو والبحوث العلمية العربية وتكلّم عن العروبة ومشكلة الفصاحة ، وبيّن بعض الطّرق لصيانة اللّغة العربية الخالصة كما قدّم بعض النكت الضروريّة اللازمة لعولمة اللغة العربية .

جهوده العلمية :

لا شك أن الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة أحد نبغاء هذا العصر وصاحب قلم سيّال بأسلوب سلس سهل ، وهو أحد اللغويين الماهرين الذين لعبوا دوراً هامّاً في حقل الأدب العربي ، إنه قد أغنى المكتبة الإسلاميّة بكتبه القيّمة ، وقد اعترف العلماء والأدباء بأدبه وعلمه ونبوغه وذكائه ، وذكروا ذلك باستحسان ما وجدوه وتذوّقوه في كتبه ومؤلّفاته ، وكان لا يحبّ الصيت والشهرة ، بل يعمل خالصاً لوجه اللّه ، ويحاول أن يبذل أكثر أوقاته في المطالعة والكتابة والتحقيق . وقد يجد القارئ خيراً كثيراً في تأليفاته وإنجازاته العلميّة التي تصل المائة في موضوعات مختلفة من الأدب والصرف والنحو واللغة والبلاغة والحديث

والتفسير والشعر .

(١) جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية :

تحدّث الدكتور قباوة في هذا الكتاب عن تاريخ البحث النحوي ، وأَثْبَتَ بأن نظرية المستشرقين الذين يزعمون أن تاريخ البحث النحوي بدأ من القرن الثاني الهجري أيام خليل ومعاصريه ليس بصحيح ، بل جاء بمستدلات قويّة بأن بداية البحث النحوي والتحليل النحوي هي من القرن الأول الهجري من عصر النبي صلى اللّه عليه سلم . يقول الأستاذ قباوة :

" إنها جذور نبتت في أقدم ما عُرف من المدارس القرآنية بين الصحابة والتابعين ، رضي اللّه عنهم وأرضاهم في جنان النعيم .

في المدرسة الأولى ، نشأ في حرمها البحث النحوي ، ثم ترعرع وشبّ عوده ، واستوى شطؤه ، وأنتج ثماراً يانعة بالتطبيقات التحليليّة . وقد كان هذا القِدَم مقصوداً به معرفة الجهود الأبكار من ذلك ، وبيان التطورات التي رافقتها مع الأيام خلال القرن الأوّل من الهجرة " [١] .

(٢) المفصّل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين :

لا شكّ أن هذا التفسير تلقّى قبولاً حسناً في الأوساط العلميّة ، وقد أُدرج في المناهج الدراسيّة في أكثر الجامعات الأسلامية وقام العلماء والأدباء بتحقيق هذا التفسير المهم ، وقد حظي بعناية كبيرة من الحواشي والتقريرات ، كما أعدّ الباحثون مباحث كثيرة حوله في الجامعات .

يقول الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري : " وممّن أفرد بعناية خاصّة من المحقّقين المعاصرين الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة الباحث السوري المعروف بعنايته بكتب اللغة والنحو . وقد قضى سنوات كثيرة ، وهو يشتغل بخدمة تفسير الجلالين ، فأخرجه على مرحلتين :

المرحلة الأولى سمّاها (تفسير الجلالين الميسّر) ، وهو تحقيق لتفسير الجلالين لم يتوسّع فيه المحقق كتوسّعه في الّذي بعده ، وسمّى عمله (تحقيقاً وتعليقاً) فقط . طبع هذا التحقيق في مكتبة لبنان ناشرون في مجلّد بلغت صفحاته ٦٣٣ صفحة من القطع الكبير .

المرحلة الثانية سمّاها (المفصّل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين) وهو تحقيق لتفسير الجلالين أيضاً توسّع فيه المحقّق كثيراً ، وسمّى عمله (تحقيقاً) وكتب (وتعقّب الإسرائيليّات والأخبار

---

[١] فخر الدين قباوة ، جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدامى ، ط ١ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٢٠م ، ص ٩ .

الموضوعة وأوهام التفسير والنحو وأتم أسباب النزول والإعراب والصرف ومعاني الأدوات). كذلك طبع هذا التحقيق في مكتبة لبنان ناشرون أيضاً في مجلّد ضخم جدّاً بلغت صفحاته ٢٢٧٢ صفحة من القطع الكبير. وقد تعرض في دراسته للكتاب إلى نقد كل النشرات السابقة للكتاب نقداً علميّاً ، وعرض كل الحواشي والتقريرات التي كتبت حول تفسير الجلالين "[١] .

(٣) التفسير الوافي للنّاشئة :

أنجز هذا التفسير بأسلوب علميّ دقيق سلس عَذْب ، يوجد فيه التفسير الدقيق الكامل للمفردات والتراكيب بحسب سياقاتها في الآيات الكريمة . ثمّ جاء بتفسير العام للآيات أيضاً .

(٤) الإعراب المنهجي للقرآن الكريم :

قيّد الأستاذ قباوة في هذا التصنيف التطبيق النحوي الكامل بأسلوب دقيق موحد واصطلاح محدّد . مع التزام قراءة حفص ، والوجه الواحد الأيسر لما يكون من الإجراءات النحويّة كلها .

شعره :

كما أن الأستاذ قباوة كان كاتباً نحريراً كذلك كان شاعراً ممتازاً يقرض الشعر في مناسبات مختلفة بأسلوب فنّي جميل . ولكن ضاعت آثاره مع الأيام ، ولم يبق منها إلا شجرات يسيرة . كان قرض شعراً حول المرأة المهاجرة الفلسطينيّة تحت عنوان (لاجئة من فلسطين) .

وللأستاذ قباوة آراء قيّمة حول المفهوم الإسلامي للأدب ، والعولمة اللغة العربيّة أي : (جعل اللغة العربيّة عالمية) ، وحول أهميّة تعليم الشعر الجاهليّة ، وقضيّة التعريب ، وإحياء الاستشهاد بالحديث النبوي في دراسة اللغة والنحو ، وله نظرات ووقفات عميقة حول البحث العلمي ، وكان شديد الاهتمام بعلامات الترقيم وحول الفصاحة والبلاغة ، وله نقد بناء لطه حسين ، ما يحتاج لدراسة عميقة حول جهوده وأعماله العلميّة .

وقد اهتمّ بعض الباحثين بتحقيق كتبه وآرائه ونظرياته وتحقيقاته واعتنوا عناية جليلة بتعريف آثاره وخدماته منهم الأستاذ أنوار سلمان مصطاف الّذي ألّف كتاباً تحت عنوان : (فخر الدين قباوة : جهوده اللغويّة والنحويّة) .

---

[١] مقتبس من مقال نشر في موقع الألوكة ، www.alukah.net ، تمت الكتابة بواسطة الدكتور عبد الرحيم بن معاضة الشهري بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠١٠ . تارخ الزيارة : ٥/٨/٢٠٢٤ ، ساعة الزيارة : ١٠:٢١ صباحاً .

الجوائز أوسمة فخار لا وصمة شنار

محمد فرمان الندوي

الجوائز والوسامات رموز تكريمية ، وعلامات تقديرية ، يُكرم بها أهل الفضل والكمال ، وأولو العلم والجمال ، حسب مستويات متنوعة ، ودرجات مختلفة ، فالوسامات تتنوع وتتعدد بالنظر إلى الدرجات ، فطلاب المدارس يُمنحون الأوسمة تقديراً لجهودهم ، ونجوم الأفلام يُكرمون بها إشادةً بنبوغهم في التمثيلات ، وأبطال الحروب والمعارك تُفوض إليهم القلائد والوشاحات نظراً إلى بطولاتهم القيادية ، أما أصحاب العلوم والفنون ، والاختصاصات المتنوعة فلهم تكريمات واسعة وتقديرات بالغة بطرق رفيع المستوى .

تكريمات إلهية في التاريخ :

إن تكريم الإنسان بالجوائز والأوسمة ليس بدعاً من الأمر ، فقد جرت سنة الله تعالى أنه كرَّم بني آدم بميزات وخصائص لم يكن الملائكة أقرب خلق الله إليه يعرفونه ، ويطلعون عليه ، فقد كرَّمه الله سيدنا آدم عليه السلام بادئ ذي بدء ، وجعله أشرف المخلوقات ، فأصبح مسجود الملائكة ، وقد نال خمسة أنبياء أمثال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام شرف أولي العزم ، ففاقوا الآخرين منهم ، واختص إبراهيم عليه السلام بلقب خليل الله ، وموسى لقب كليم الله ، وعيسى لقب مسيح الله وكلمته ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقب حبيب الله ، فهذه التكريمات الإلهية كانت لهؤلاء الأنبياء أوسمة فخار ، وعلامات اعتزاز ، وكانوا معتزين بها ، ومفتخرين بالانتماء إليها ، وكذلك لقب الصحابة خلعه الله على الجيل القرآني الأول ، وهو شرف لا

يعادله شرف آخر ، ولن ينال أحد هذا الشرف والعظمة ولو أنفق مثل أحد ذهباً ، وبذل له قناطير مقنطرة من الأموال والعقارات .

نالت الأمة المحمدية بواسطة آخر نبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكون مكانةً رفيعةً ، ودرجةً ساميةً ، لا تحلم الأمم الأخرى بمثل هذه المكانات في المنام ، فهي شامة بين الأمم ، يُشار إليها بالبنان ، في الدنيا والآخرة ، ويوضع لها القبول والتقدير في الأرض إن تمسكت بحبل الله تعالى ، واعتصمت بالمهمة التي نيطت بها ، والغاية التي كانت مبعث وجودها في هذا العالم ، رغم أن أمم التجارة والفلاحة ، والحدادة ، والصناعة ظلت تشتغل بأعمالها المتنوعة ، فبرزت الأمة المحمدية بين مصاف الشعوب والأمم بلقب خير أمة ، وأمة وسط ، وأمة القرآن ، وأمة الإيمان ، وأمة القراءة والكتابة ، وقد أدت هذه الأمة دورها اللامع عبر القرون ، في القارات المختلفة ، وأثبتت جدارتها وصلاحيتها رغم المؤامرات والدسائس الخطيرة ، حتى بلغ صوتها من أقصا العالم إلى أقصاه ، فتاريخ هذه الأمة تاريخ خمسة عشر قرناً ، وتاريخ الأمة الغربية التي تحكم الآن العباد والبلاد تاريخ خمسة قرون ، فلن تنال الإنسانية الطمأنينة والراحة إلا بظلال الإسلام ، وأجواء من الأمن والإيمان .

العبرة بالقيمة لا بالقامة :

فالجوائز والوسامات تمنح على أساس المواهب والقدرات ، لا على الانتماءات والانتسابات ، وكلما اختلَّ الميزان ، وساد جو من العصبية الداخلية والحمية الجاهلية ، وكسبت الأسر والبيوتات الشريفة الوسامات ، بناءً على سالف مجدها ، وسابق مآثرها فقدت الوسامات قيمتها وقدرها ، وقد نالت كبرى الشخصيات الإسلامية والأئمة الأعلام في العالم كله صيتاً حسناً بمواهبهم الفطرية ، وجهودهم المخلصة ، فالمجدودون في الإسلام الذين بلغوا إلى قمة العلياء ، ووصلوا في المجد والشرف إلى الجوزاء كانت وراء هم جهود جبارة ، وأعمال مكثفة ، فكُتب لأعمالهم القبول والبقاء ، حتى إنهم يُذكرون إلى الآن بثناء عاطر ، ولسان شاكر ،

ويُضرب لهم المثل في بذل كل غال ونفيس نحو إعلاء كلمة الله ، ورفع معنويتها لدى كل ذي بصر وبصيرة .

شهد القرن العشرون الميلادي نظاماً جديداً للتكريم والإشادة بالمآثر والأعمال ، فأنشئت له لجان ومنظمات ، وهي ترشح أفراداً وجمعيات لتقديم الوسامات والميداليات ، فهناك جائزة نوبل للسلام ، فجائزة نوبل تُمنح سنوياً منذ ١٩٠١م للأشخاص الذين قاموا بإنجازات للتآخي بين الأمم ، وعقد السلام والترويج له كما أشار إليه ألفرد نوبل الذي وقف ثروته كلها لتمويل هذه الجائزة لأول مرة ، وتفوَّض هذه الجائزة للذين يبذلون جهوداً استثنائيةً في تسوية النزاعات وإحلال السلام ، في العاشر من شهر ديسمبر كل عام من اللجنة النرويجية لجائزة نوبل ، وقد نال هذه الجائزة عدد كبير من الرموز العالمية ، منهم أربعة رؤساء أمريكيين : (١) ثيودور روز فلت عام ١٩٠٦م لدوره في إنهاء الحرب اليابانية الروسية ، (٢) وودرو ويلسون عام ١٩١٩م ، لمبادرته في تأسيس عصبة الأمم ، (٣) جيمي كارتر عام ٢٠٠٢م تقديراً لجهوده في تعزيز الديموقراطية وحقوق الإنسان ، (٤) باراك أوباما عام ٢٠٠٩م تقديراً لتعزيز الدبلوماسية الدولية ، ويحاول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في أن ينال هذه الجائزة ، فيسعى لذلك سعياً ، وكان يتمنى ذلك منذ ترشيحه لأول مرة للرئاسة العامة ، وقد أعلنت حكومة باكستان عن ترشيح ترامب لهذه الجائزة بعد ما خاض ترامب في وقف إطلاق النار بين الهند وباكستان ، وقد صدرت انتقادات حادة عن هذا الاقتراح ، فيقول المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) في نيوجرسي : إن سعي ترامب لنيل جائزة نوبل للسلام أمر يبعث على السخرية ، وإن تصرفاته وشخصيته وسياساته لا تنسجم مع القيم التي ارتبطت بجائزة نوبل ، وقد صدر بيان على منصة ترامب الاجتماعية أنه يقول : لن أحصل على جائزة نوبل للسلام ، مهما فعلت .

من هو الأحرى بجائزة نوبل للسلام ؟

هذا ، ومن جهة أخرى طلع نجم في سماء قارة إفريقيا ، وبدأ السكان والمواطنون يعقدون منه آمالاً ، وهو شاب يافع لم يبلغ من العمر أربعين سنةً ، ناضل هذا الفتى ، القوى الهدامة للبلاد ، ولا يزال يبذل قصارى جهده لترقية البلاد ، وتطويره إلى أرفع مستوى من المعيشة والاقتصاد ، وقد نجح في برامجه وتصميماته إلى حد كبير ، بحيث إن تطويراته الإنمائية أقضت مضاجع الدول الأوربية ، وبدأت تعرقل طريق هذا الفتى النابه إبراهيم تراؤرى إلى ترقية البلاد ، لأنه جعل دولة بوركينا فاسو مستقلةً بثرواتها ، وقد مرت على هذه الدولة فترة الاستعمار الفرنسي منذ عام ١٨٩٦م إلى ١٩٦٠م ، ثم استقلت هذه الدولة من هذا الاحتلال ، لكنها ظلت خاضعةً إلى حد كبير للنظام الفرنسي ، وقد قيض الله لهذه الدولة القائد إبراهيم تراؤرى الذي تسلم مقاليد الدولة عام ٢٠٢٢م ، ويقود الدولة قيادةً حكيمةً بحيث بدأت تخطو خطوات حثيثةً إلى التقدم والازدهار ، فهذا الفتى إبراهيم تراؤرى أحرى وأحق بهذه الجائزة التي تعرف على الصعيد العالمي بجائزة نوبل السلام ، لأنه انتشل شعباً ودولةً من الفقر المدقع ، والمجاعة المستشرية إلى الغناء والرفاهية ، ونشر رسالة الأمن والسلام في أرجاء بلاده .

فالجوائز والوسامات التي تُمنح تقديراً للجهود الإنسانية ، والإنجازات الواسعة البناءة لها قيمة ووزن في ميزان العالم ، وهي بالنسبة إلى المؤمن الحقيقي علامة خير ، وعاجل بشرى المؤمن في حياته ، فإنه يستبشر بها كمنحة إلهية أكرمه الله بها في هذه الحياة الفانية ، وأما جزاؤه في الجنة فما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأما الوسامات التي تُمنح بالسمسرة والوكالات المصطنعة فإنها لا تكون أوسمة فخار ، بل تكون وصمة عار وشنار لصاحبها ، قال تعالى : (وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) [الأعراف : ٥٨] .

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب

الأخ عدنان أحمد العجائب*

إن الله قد قدَّر لكل شيئ أجلاً ، فقال عز وجل : (وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب) ، ولكل عبد من عباده أجلاً مسمىً ، فقال : (وَأَجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُم تَمْتَرُونَ) ولكل ذات كبد أنفاساً ، فلابد لها من إتمام العدد المحدود . ثم الرحيل إلى المنازل إما في جنة الخلد وإما . . . . نعوذ بالله منه .

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى خط ذا عن نعشه ذاك يركب

وهذه حقيقة الحياة إلا أن الإنسان يخاف الموت ، فالموت فزع كما قال صلى الله عليه وسلم ، ويحزن على فراق الأحبة والأقارب . فهذا الحزن ، وهذه الدموع آية من آيات رحمة الله التي أودعها في قلوب عباده : " هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده " ، " وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " .

تلقينا نبأ وفاة الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي الذي وافته المنية إثر حادث مروري ، والتي أقامت عالمنا وأقعدته . وحتى الآن لم نستيقن أن الأستاذ قد أفل نجمه ، وغربت شمسه ، ولكن الحقيقة المؤلمة أنه غادرنا إلى دار القرار تاركاً خلفه فراغاً لا يسد . . . . ، ونستشعر بأن الأستاذ على إجازة ، أو على سفر ، أو على شغل قد شغله .

لا شك أن الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي كان عالماً نحريراً ، أديباً أريباً ، مفكراً مدققاً ، مربياً مشفقاً ، ذا قلم سيال ، خبيراً بقضايا الأمة الإسلامية ، وحلولها ، وبمكائد أعداء الأمة الإسلامية ، والتحذير منها ، وكما كانت له تحليلات متسقة ومعتدلة لا شرقية ولا غربية ، ليست فيها حيادة ولا تطرف ، ومرآة صادقة لمعرفة الدنيا دقها وجلها ، وسرها وعلانيتها .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأسكنه فسيح جناته .

* طالب بدار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ .

فجر وضحى وظهر الإسلام لأحمد أمين : دراسة موضوعية

الأخ احتشام حسن الندوي
دهلي – الهند

كان الأستاذ أحمد أمين صاحب روح قوية ومستنيرة ، جمعت موسوعته الإسلامية بين أدوار المؤرخ والداعية والمفكر الحر . وهو يكتب تاريخ الفكر والثقافة الإسلامية ، من الفقه والفلسفة واللاهوت إلى المجوهرات والخط والمنحوتات على القماش والزجاج ، والتصوير الفوتوغرافي لصفحات الكتب .

فجر الإسلام :

يبحث هذا الكتاب في الحياة العقلية منذ صدر الإسلام إلى نهاية عصر الأمويين ، وقد طبّق أحمد أمين نفسه طريقة البحث هذه على دروس الحياة الروحية للشعوب العربية في القرن الأول قبل الميلاد ، وتوصّل إلى نتيجتين قيمتين ؛ الأولى أنّه أظهر الحياة كما هي حقا ، ببساطته القاسية والجافة بعيدا عما نفكر فيه ، والثانية أن هناك علاقة قوية بين الثقافة الأدبية والثقافة الدينية والفلسفية .

ويتكون من سبعة أبواب ، ويتناول في بابه الأول منها العرب في عصور ما قبل الإسلام ، واتصالهم بالناس من حولهم ، ووسائل اتصالهم ، وحياتهم الروحية ، وتأثير بيئتهم الطبيعية والاجتماعية في تكوينها ، ومظاهر الحياة الروحية . " أما الفصل الثاني فقد تناول الإسلام وتعاليمه وأثر هذه التعاليم على العرب ، كما يشتمل الباب على مقارنة بين الإسلام والعصور الجاهلية ، وكذلك الفتوحات الإسلامية وآثارها "[1] .

ويتناول الفصل الثالث الآراء الفارسية حول الدين والملوك الفارسيين ، والأدب الفارسي وتأثيره على الأدب العربي ، وكذلك التأثير الفارسي في الحكم والأخلاق العربية والأغنية واللغة وغيرها . ويبحث الباب الرابع في المسيحية وطوائفها المختلفة ، وحالتها في زمن الفتح الإسلامي ، والفلسفة والأدب اليوناني ، ولماذا تأثر العرب بالأدب الفارسي أكثر من الأدب اليوناني الفارسي ؟ وجوانب من التأثير اليوناني ، عن الأدب العربي .

ويتناول الباب الخامس الحركات العلمية في القرن الأول قبل الميلاد ، وتأثير الإسلام في الحركات العلمية ، وأنواع هذه الحركات مثل الحركات الدينية ، والحركات التاريخية ، والحركات الفلسفية ، والموقف الأموي من هذه الحركات ، وفي مراكز الحياة الفكرية مثل الحجاز والعراق والشام والحياة العربية والحركات العلمية التي سادت هناك . ويتناول الباب السادس

[1] محمد الفاروقي، تاريخ العربية وآدابها ، كاليكوت : سهارا كاليكوت، ٢٠١٠م ، ص ٤٦٨

الحركات الدينية بالتفصيل ، تشتمل هذه الدراسة على كتاب الله ، وتفسيره ، واختلاف العرب في فهم معانيه ، وأسباب الاختلاف ، وطبقات المفسرين ، والحديث وعدم التدوين والوضع فيه وأسبابه ونهضة العلماء ضد الوضع ، وأشهر علماء الحديث وأثر الحديث في انتشار الثقافة ، والتشريع في الجاهلية وتشريع القرآن وتشريع الحديث ومذهب الرأي ومذهب الحديث ، ويؤثر على الفتح الإسلامي فيما يتعلق بالتشريع .

والباب السابع يتناول الطوائف كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وأسباب نشأتهم وفروعهم ومذاهبهم وأشهر الطوائف والدعاة والشعراء والخطباء والعلماء ، وخصائص هذه المذاهب وانتشار الفتنة داخل الدولة الإسلامية في العصر الأموي . لقد هدم أحمد أمين العقيدة الخاطئة في أذهان الناس بأن عرب الجاهلية كانوا شعباً معزولاً عن بقية العالم ، وليس له أي اتصال مع الآخرين . ويؤكد أن العرب كان لهم اتصال مادي وأدبي بالشعوب بمن حولهم ، وأهم وسائل هذا الاتصال هي التجارة ، والبعثات اليهودية والمسيحية التي كانت تتردد في جزيرة العرب تروج لدينها ، كما أنه يهدم اعتقاد تقديس العرب . ويعتقد العرب أن العرب شعب ، مثل أي شعب آخر ، له ميزاته وفيه عيوبه .

ضحى الإسلام :

أحمد أمين يسير في ضحى الإسلام سيره عبر فجر الإسلام ، تبحث أجزاؤه في المائة السنة الأولى من العصر العباسي حتى الخلافة واثق بالله (١٣٢ – ٢٣٢هـ) . امتازت هذه الفترة بعلمها وأدبها ولونها السياسي الفريد وسيطرة العناصر الفارسية وحرية الفكر . فيعرض هذا الكتاب " ضحى الإسلام " تاريخ الحياة العقلية للمسلمين في القرن الثاني قبل الميلاد ، ويمثل عصراً خاصاً متميزاً عن العصور التي سبقته وتلاه . ويرتب المؤلف " ضحى الإسلام " أربعة أبواب .

يتناول الباب الأول الحياة العقلية في هذه الفترة ، ويتناول الباب الثاني مختلف الثقافات الدينية وغير الدينية . أما الباب الثالث فقد خصص للحركات والمؤسسات العلمية ، وحرية الفكر ، ونقاط قوة الدول في هذه الحركات . " أما الباب الرابع فقد خصص لتعاليم الدين وحياته وأشهر رجاله وأهم الأحداث . وكانت حياة المسلمين في ذلك الوقت غامضة ومليئة بالارتباك بسبب اختلاط العرب والأعراق الأخرى وارتباط الوعي العربي بالوعي الأجنبي . لا يتحدث مؤرخو الأدب عنها بثقة ، بل بارتياب ، ويعرضون للباحثين مواقف مختلفة . لكن أحمد أمين التقط هذه الصور بشكل جيد للغاية " [١] .

ويتناول الباب الأول الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ، وينقسم

[١] محمد الفاروقي ، تاريخ العربية وآدابها ، كاليكوت : سهارا كاليكوت ، ٢٠١٠م ، ص ٤٧٠ .

إلى عدة فصول . يتناول الفصل الأول سكان الممالك الإسلامية واختلافهم في الأهواء والميول السياسية والأدب . ويتناول الفصل الثاني التعصب والصراع بين العرب والموالين ، ويتناول الفصل الثالث الشعبوية وأثرها في الأدب والعلوم . العبودية وتأثيرها على الثقافة ، والخامس يبحث في مظاهر الحياة الترفيهية والحياة الجادة والترف وتأثيرها على العلم والفن ، ويتناول الفصل السادس العقيدة والبدعة وتاريخها وأسباب انتشار البدع في العصر العباسي .

وينقسم الفصل الثاني إلى عدة فصول ، يتناول الأول منها الثقافة الفارسية وأسباب انتشارها في العصر العباسي . ويعتبر المؤلف نقل هذه الخدمة وعاصمة الخلافة من دمشق إلى العراق من أهم أسباب انتشار الثقافة الفارسية ونمو الحركات العلمية والاجتماعية ، ونستكشف أيضا الثقافة الإسلامية والأدب والعلوم والحياة الاجتماعية .

والباب الثاني يبحث في الثقافة الهندية وأثرها في الثقافة الإسلامية والعادات وفي الفلسفة والرياضيات والأدب والنحو والبلاغة والقصص والحكم . والفصل الثالث يبحث في الثقافة اليونانية وأثرها في المسلمين – في الشكل والموضوع والأدب – ويوضح سبب ضعف تأثيرهم في الأدب . والفصل الرابع يتناول الثقافة العربية وأثر الإسلام في انتشار الثقافة العربية . والفصل الخامس يبحث في الثقافات الدينية مثل اليهودية والنصرانية والإسلام وتأثير المذاهب الإسلامية ، ويفصل سبب انتشار الإسلام ونفوذه في جميع مظاهر الحياة الإسلامية ، والفصل السادس يتناول امتزاج الثقافات وأثر الإسلام فيه .

ظهر الإسلام :

يبحث الكتاب الأول في الحياة الاجتماعية من عهد المتوكل إلى آخر القرن الرابع الهجري ، ويتضمن الباب الأول أبحاثا في سكان المملكة الإسلامية – الأتراك والفرس والعرب والروم – والمذاهب الدينية في المملكة الإسلامية وأثر هذه العناصر والمذاهب والديانات .

والباب الثاني يبحث في أهم المظاهر الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر ، وهو يتضمن أبحاثا عن انقسام الدولة الإسلامية إلى دول متعددة مستقلة وأثرها في السياسة والعلم والأدب وأثر الترف والبؤس والرقيق في الحياة الاجتماعية والعلم والأدب . ويبحث الكتاب الثاني في مراكز الحياة العقلية في ذلك العصر ، وهذا الجزء مقسوم إلى خمسة أبواب . ويبحث الباب الأول عن الحركات الدينية والفلسفية واللغوية والنحوية والعلمية والأدبية في الشام ومصر في ذلك العهد .

ويبحث الباب الثاني في الحركة الدينية والفلسفية والأدبية في العراق وجنوبي فارس وأشهر المدن التي اشتهر بالعلم وأثر الدولة والحركات فيها في العلم والأدب . ويبحث الباب الثالث في الحركات المختلفة في خراسان وما وراء النهر وأثر الدولة السامانية في العلم والأدب . ويبحث الباب الرابع والخامس في الحركات الأدبية في السند وأفغانستان وبلاد المغرب .

نشاطات النادي العربي في رحاب دار العلوم لندوة العلماء

إعداد : الأخ عبد الله المجاهد *

عقد النادي العربي بعد حفلته الافتتاحية حفلات متعددةً من المحاضرات ، وافتتاح مكتبة الرائد ، والحفلات الأسبوعية ، ولقاءات إدارية وتنظيمية مع أعضاء النادي العربي وأمناء الصفوف ، وهنا تقرير موجز لها :

(١) محاضرة علمية وثقافية حول " النشاطات الثقافية ودورها في تنمية المهارات " :

أقامت اللجنة الثقافية التابعة للنادي العربي محاضرةً علميةً وثقافيةً بعنوان : " النشاطات الثقافية ودورها في تنمية المهارات اللغوية " ، وذلك يوم السبت بعد العشاء في ١٨/ ذي القعدة ١٤٤٦هـ الموافق ١٧/ مايو ٢٠٢٥م ، في قاعة النادي العربي ، بحضور حشد كبير من الطلبة وعدد من الأساتذة الكرام .

وقد ألقى هذه المحاضرة فضيلة الدكتور نذير أحمد الندوي (أستاذ الأدب العربي بدارالعلوم لندوة العلماء) ، فتحدّث في كلمته عن أهمية الثقافة ، موضحاً أنها تشمل كل ما نتعلّمه من علوم وفنون وصناعات ، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلم . وأشار إلى أن تنمية الثقافة العربية لا تتم إلا بإتقان اللغة العربية ، وحفظ العبارات الرشيقة والتعبيرات المؤثرة .

ونبّه فضيلة المحاضر إلى أن كثيراً من الطلاب يواجهون صعوبات في التعبير والكتابة ، وذلك لعدم التفاتهم إلى هذا الجانب المهم . وأوصى بضرورة استظهار أجمل العبارات والجمل الرشيقة الموجودة في الكتب ، والتدريب والممارسة في الكتابة والخطابة .

كما أوضح أهمية متابعة الصحف والمجلات للاطلاع على أحدث ما يجري في العالم ، مما يساعد الطالب الذي يريد أن يدخل ميدان الصحافة على تنمية قدراته وتوسيع مداركه .

وافتتحت هذه الحفلة بتلاوة الأخ عدنان أحمد لآي من القرآن الكريم ، كما أنشد الأخ محمد رضوان قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وفي مستهل الحفلة ألقى الأستاذ ظفر الدين الندوي (مشرف

* طالب في السنة الرابعة للعالية من الشريعة ونائب أمين اللجنة الصحافية .

اللجنة الثقافية) كلمة الإشراف ، وقدم الأستاذ عبد الودود الندوي (نائب مشرف اللجنة الثقافية) كلمات الشكر الختامية ، وأخيراً ألقى رئيس الحفلة فضيلة الشيخ محمد علاء الدين الندوي كلمته الرئاسية ، وقد أدار هذه الحفلة الأخ محمد زهير (أمين اللجنة الثقافية) ، وحضرها عدد من الأساتذة والطلاب حتى ضاقت عنهم القاعة ، وبعضهم اضطروا إلى الرجوع . وقد قُدمت جوائز إلى خمسة من الطلاب الحضور بالقرعة .

(٢) افتتاح مكتبة الرائد للعام الجاري :

انعقدالبرنامج الافتتاحي " لمكتبة الرائد " ، للنادي العربي ، وذلك يوم السبت ٢٥ ذي القعدة ١٤٤٦هـ الموافق ٢٤ مايو ٢٠٢٥م ، تحت رئاسة فضيلة الشيخ محمد علاء الدين الندوي ، في الساحة الواقعة بين رواق أطهر ورواق محمد علي في رحاب الدار .

وافتتح الجلسة الأخ محمد أجمل بتلاوته لآيات القرآن الكريم ، وأنشد محمد كفايت اللّه أبياتاً ، كما أدار هذا البرنامج الافتتاحي محمد سفيان (أمين مكتبة الرائد) . شهد البرنامج عدد من أساتذة الدار ، وأكّدوا في كلماتهم على أهمية الكتب والمكتبات في بناء الشخصية العلمية والثقافية للطلاب .

وألقى رئيس الحفلة الأستاذ محمد علاء الدين الندوي خطابه الرئاسي وقال فيه : دائماً أقول : ليس في دنيا العلم طريق أقصر ،بل هو طريق طويل ، فإن العلم يحتاج إلى أن تفني كل شيئ في سبيله ، من أوقاتك ومن اهتماماتك ، وبعد ذلك قد ينال قطرات من هذا البحر اللامتناهي .

وفي الختام ، ألقى الأستاذ محمد فرمان الندوي (المشرف على اللجنة الخطابية) كلمة شكر وقال : هذه أمسية طيبة ، أمسية مُبارَكة اجتَمَعنا فيها للتحادُث والتحاور حول أهمية المكتبات الإسلامية والمكتبات الدينية ، والقراءة ، والكتابة ، والمُطالعة ، والدراسة ، ولا شكَّ أن هذا الموضوع هو موضوعٌ شيق جيد محبوب أثير لدى الجميع ، ونحن قد قصدنا إلى هذه الدار لتناول هذه العلوم والدراسات العلمية ، والحمدُ للّه سبحانه وتعالى على أن هذه الدار قد وفرت لنا وسائل وإمكانيات كثيرةً للاستفادة من هذه المكتبات الإسلامية .

(٣) دورة علمية تحت عنوان فن التعامل مع الناس للشيخ أحمد بن عودة العمراني :

أقامت اللجنة الثقافية للنادي العربي بدارالعلوم لندوة العلماء دورةً

علميةً بعنوان : " فن التعامل مع الناس " ، قدمها فضيلة الداعية الدكتور الشيخ أحمدبن عودة العمراني – حفظه الله ورعاه – (إمام وخطيب جامع الراجحي ، ومدير مكتب الدعوة والإرشاد بمحافظة حقل ، تبوك ، المملكة العربية السعودية) عبر الإنترنت ، وذلك مساء يوم الأربعاء ، ٢٨/ ذي الحجة ١٤٤٦هـ ،المصادف لـ٢٥/ يونيو عام ٢٠٢٥م ، بعد صلاة المغرب ٧:٣٠ حسب التوقيت الهندي في قاعة العلامة المحدث حيدر حسن خان الطونكي بدارالعلوم لندوة العلماء .

واستهلت الدورة بتلاوة الأخ محمد ثمامة لآي من القرآن الكريم ، ثم قدم الأستاذ محمد فرمان الندوي كلمة ترحيب وتعريف بحركة ندوة العلماء ودار العلوم ، وعرَّف مدير الدورة الأستاذ ظفر الدين الندوي بفضيلة المحاضر ، واستمرت هذه المحاضرة ساعةً ونصفاً ، فأكد على أهمية السنة قائلاً : النبي صلى الله عليه وسلم أعظم معلم ومرب . ففي سنته نجد ما يكفينا للتعامل مع الناس .

وقد تناول فضيلة الشيخ في محاضرته محاور تربويةً وسلوكيةً مهمةً ، في عشرين نقطة :

(١) " التعامل بالأخلاق الحسنة مع الجميع " ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، من أهمها الرفق : إن الرفق لا يكون في شيئ إلا زانه ، ولا ينزع من شيئ إلا شأنه ، وقال : حسن الخلق يقوم على أربعة أخلاق : ١– الصبر . ٢– والعفة . ٣– والشجاعة . ٤– والعدل . (٢) والابتسامة التي لا تحتاج إلى ترجمة ، وهي رسالة إلى القلوب ، وقال عبد الله بن الحارث : " ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، " وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة " . (٣) كن لماحا في إدراك الجميل وغضّ الطرف عن النقص والقصور ، اذكر موقف أبي هريرة مع النبي صلى الله عليه وسلم : مر أبوبكر وعمر ، فلم يعرفا حاجته ، ومر النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرف ما في نفسه دون أن يتكلم ،ولم يسأل عنه أي شيئ ، وقال : الحق يا أبا هر . (٤) وتحمل الناس وقضاء حوائجهم ، " أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس " . (٥) والوفاء بالوعد ، قل نعم إذا استطعت ، وقل لا في البداية وتعتذر إذا لم تستطع . (٦) والنصيحة بإخلاص وعلم ورفق وفي الوقت المناسب وبإرادة الإصلاح . (٧) واحذر كل الحذر من النصيحة العلنية على العموم ، قال الفضيل بن عياض : " المؤمن ينصح ويستر ، والفاجر يهتك ويعيّر " . (٨) والبعد عن النقد المباشر والتركيز

على الفعل لا على الشخص ، واستعمال الاقتراحات بدل الأوامر . (٩) لا تكثر من اللوم والتأنيب ، لما فيه من ثقل ومرارة ، وتغافل عن الأخطاء : فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم . (١٠) لفت النظر إلى الأخطاء تلميحاً لا تصريحاً . (١١) إياك والأنا ، لا تتكلم لتتباهى أو لتثبت أنك الأفضل ، الناس ينفرون ممن يتحدث عن نفسه كثيراً . قال إبليس : " أنا " خير منه . وقال نمرود : " أنا " أحيي وأميت ، وقال فرعون : أم " أنا "خير من هذا ، و " أنا " ربكم الأعلى ، وقال صاحب الجنة : " أنا " أكثر منك مالاً وأعز نفراً . (١٢) لا تركز على السلبيات دون الحسنات ، كن كالنحلة تقع على الطيب ، واحذر أن تكون كالذباب تتبع الجروح . (١٣) لا تعامل الناس باستعلاء . (١٤) مراعاة مشاعر الآخرين : لا تسخر ، لا تحتقر ، لا تجرح مشاعر أحد . (١٥) اكسب الجدال بأن تتجنبه " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لم نترك المراء ولو كان محقاً " (١٦) أبدِ للناس اهتمامك بهم أكثر من اهتمامك بنفسك . (١٧) نادِ الناس بأحب أسمائهم ، تعلم مهارة جذب القلوب بالنداء بأحب الأسماء . (١٨) الناس يحبون الشكر والتشجيع " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " . (١٩) التواضع " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " ، " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً " . (٢٠) الهدية " تهادوا تحابوا " الهدية تقوي الألفة وتذهب الغلو تزيد المحبة . وفي ختام الدورة ، حذّر الشيخ من الصفات المنفّرة كالتدخل في شؤون الآخرين ، كثرة الشكوى ، الثقل على الناس ، الحسد ، الغرور ، الغيرة ، الكذب ، التكلف ، الأنانية، الكسل ، البخل ، الطمع ، التشاؤم .

وأوصى بثلاثة أمور لا ينبغي للمسلم أن يتركها ، وإنه يجد أثرها في تعامله مع الناس وتعامل الناس معه : العبادة ، الدعاء ، والمحبّة في الله . وقال أخيراً : " ليس مهماً أن تنجح دائماً ، لكن كن جاداً في التغيير وابدأ الآن " . واختتمت هذه الدورة بكلمات وداعية من الشيخ ودعائه للحاضرين بالتوفيق والسداد . ثم دارت دورة السؤال والجواب .

وألقى رئيس هذه الدورة العلمية فضيلة الشيخ علاء الدين الندوي كلمته الرئاسية ، وقدم الأخ محمد زهير شفيق (أمين اللجنة الثقافية) كلمات الشكر ، وقد أدار هذه الحفلة الأستاذ ظفر الدين الندوي (مشرف اللجنة الثقافية) ، وحضر هنا عدد كبير من الأساتذة والطلاب . وقد تركت الدورة أثراً طيّباً في نفوس الحاضرين .

(١) الشيخ أنس بن أحمد القرقوري إلى رحمة الله تعالى

د . صالح العود

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ أنس بن أحمد القرقوري فجر يوم السبت في ٢٥/ ذي الحجة ١٤٤٦هـ ، الموافق يونيو عام ٢٠٢٥م ، بمقر سكناه في مسقط رأسه في مدينة صفاقس من جنوب تونس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

حفظ الشيخ أنس القرقوري القرآن الكريم ، ثم دخل في جامع الزيتونة ، في تونس لدراسة العلوم العربية والشرعية ، على أيدي نخبة من علمائه الأبرار ، وتخرج فيه عام ١٩٥٤م ، حاملاً شهادة العالمية ، وواصل دراسته العالية بجامعة القاهرة في جمهورية مصر العربية ، وكان من أبرز من أخذ عنهم : الدكتور طه حسين والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور سهير القلماوي وغيرهم من الأساتذة اللامعين آنذاك ، ولما عاد إلى أرض الوطن دخل المعهد الثانوي للذكور بصفاقس أستاذاً لمادة الأدب والنحو العربي ، ومن حسن حظي أني درست عليه ، بعد نجاحي في نهاية المرحلة الابتدائية لسنتين (١٩٦٦ – ١٩٦٨م) ، كما عمل محرراً ومقدماً لبرامج دينية بإذاعة صفاقس ، وأجل برامجه فيها : دروس في التفسير ، وبعد أن أنهاه أخرجه مطبوعاً في أربعة مجلدات كبيرة .

له مؤلفات قيمة ، وبعضها مطبوع ، وأخرى لا تزال مخطوطةً لم تر النور .

توفي عن ٩٤ عاماً ، رحمه الله ، وطيب ثراه ، وأسكنه فسيح جناته .

(٢) الشيخ الداعية محمد مستقيم البستوي في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

تلقينا نبأ وفاة الشيخ الداعية محمد مستقيم البستوي في ٢٧/ ذي الحجة سنة ١٤٤٦هـ ، المصادف ٢٤/ يونيو عام ٢٠٢٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد مستقيم البستوي ينتمي إلى بلدة تنهري معاني ، في مديرية سنت كبير ناغر ، بولاية أترابراديش ، (الهند) ، وكان معجباً بجماعة الدعوة والتبليغ منذ صغره ، فكان يخرج في الرحلات الدعوية والإصلاحية ، ويفيد الناس بمواعظه وخطبه وكلماته ، وقد نال تربية الداعية الكبير الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي أمير جماعة الدعوة والتبليغ سابقاً ، كما قضى وقتاً لا بأس به مع ترجمان التبليغ الشيخ محمد عمر البالنبوري رحمه الله ، وكانت إقامته عامةً في مركز الدعوة بمنطقة نظام الدين ، دهلي ، وكان مثالاً للتواضع والإخلاص ، وقد كتب الأستاذ محمد أكرم الندوي عنه إثر وفاته : " رجل نحسبه عاش لله ، ومات لله ، وما أراد من الدنيا شيئاً ، وما طلب من الناس أجراً ، بل جعل من فقره غنىً ، ومن زهده جمالاً ، ومن إخلاصه قوةً تهز القلوب وتوقظ الأرواح ، وكان الشيخ كتاباً مفتوحاً ، يقرؤه الناس ، فلا يجدون فيه غموضاً ولا التواءً ، لا يطلب من أحد منصباً ، ولا

يتطلع إلى مجد دنيوي ، لم يكن في قلبه شيئ من تعاظم على عباد الله ، ولا على لسانه شيئ من تملق " .

حدثت وفاته في مدينة ممبائي ، ومن هنا نُقل جثمانه إلى قريته ، ودُفن في مقبرة آبائه .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(٣) الشيخ محمد علاء الدين الندوى الى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ محمد علاء الدين الندوي يوم الجمعة غرة محرم الحرام ١٤٤٧هـ ، المصادف ٢٧ يونيو عام ٢٠٢٥م عن عمر يناهز ٨٣ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد علاء الدين الندوي من قرية بكر فور بمديرية سنسري بدولة نيبال ، وُلد عام ١٩٤٣م ، ودرس الابتدائية في جامعة الإصلاح الإسلامية ببوتها ، ثم واصل دراسته في دار العلوم نور الإسلام بجلفا فور ، ثم أُرسل في دفعة طلابية إلى دار العلوم لندوة العلماء ، حيث درس على كبار أساتذتها ، ونال شهادة العالمية فيها عام ١٩٦٣م ، ومن زملائه في دار العلوم الشيخ محمد غفران الندوي مسئول قسم الدعوة والإرشاد ورئيس تحرير مجلة سجا راهي الهندية في ندوة العلماء ، ثم اشتغل الشيخ محمد علاء الدين الندوي بأعمال زراعية ، وظل مثابراً عليها ، لكنه اعتنى بتعليم أولاده ، فأرسلهم إلى المدارس الدينية ، منهم الأستاذ رضوان الندوي ، والأستاذ لقمان النوري النعماني ، المقرئ عمران الفرقاني ، والأستاذ غفران الندوي الرياضي ، والأخ صفوان .

وكان الشيخ علاء الدين الندوي زوج أخت الشيخ محمد أيوب الندوي رئيس دار العلوم نور الإسلام بجلفافور ، ترك وراءه زوجته وخمسة أبناء وبنتاً واحدة .

غفر الله له ، وأسكنه فسيح جناته ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ، وألهم أهله بالصبر والسلوان .

(٤) الشيخ اشتياق أحمد اللاري الندوي إلى رحمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة الشيخ اشتياق أحمد اللاري الندوي بن الشيخ محب الله الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء سابقاً ، ليلة السبت في ٩/ محرم ١٤٤٧هـ ، المصادف ٥/ يوليو عام ٢٠٢٥م ، بالغاً من العمر ٨٤ ، في منزله بمنطقة كهدرا في مدينة لكناؤ (الهند) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ اشتياق أحمد اللاري من مواليد ١٩٤٢م ، في بلدة لار ، بمديرية ديوريا ، بولاية أترابرادیش (الهند) ، ودرس في مدرسة مفيض العلوم في لار ، ثم ذهب مع والده الشيخ محب الله الندوي إلى مدرسة إشاعة العلوم قلي بازار بكانفور ، ودرس فيها ، كما درس في دار العلوم لندوة العلماء ، ونال منها شهادة العالمية عام ١٩٦٠م ، ثم واصل دراسته في جامعه لكناؤ ، وحصل منها على شهادتي الليسانس والماجستير ، وكانت عنده مواهب تعليمية وإدارية ، فعين محاضراً في كلية فيض عام بكانفور ،

فقام بالتدريس فيها سنوات ، وكانت له صلة بالجماعة الإسلامية ، فكان أمير الجماعة الإسلامية ، لولاية أترابراديش ، وكان عضواً في المجلس الملي لعموم الهند ، وكان رجلاً حليماً ، وقوراً ، نشيطاً في أعماله ، وقد خدم والده الشيخ محب الله الندوي بالإخلاص والتقوى ، وظل مرافقاً له إلى آخر حياته ، وقد كان الشيخ محب الله الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء أكثر من أربع وعشرين سنة ، وكانت فترة إدارته مثالية بالنظر إلى الاهتمام بالشئون الإدارية ، وحل مشاكل الطلاب ، وتوفير الميزانيات السنوية ، وكان الشيخ محب الله الندوي مثالاً للعلماء القدامى الذين قاموا بأعمال الإصلاح والتربية في أزمانهم المختلفة .

ترك الشيخ وراءه سبعة أبناء ، وبنتاً واحدةً ، كلهم ما شاء الله متحلون بصفات نبيلة وأخلاق عالية وهم الأخ أحمد نديم اللاري ، والأخ أحمد جليس اللاري الندوي ، والأخ أحمد رئيس اللاري الندوي ، والأخ أحمد أسامة اللاري الندوي ، والأخ أحمد عمار اللاري ، والأخ أحمد حماد اللاري الندوي ، والأخ أحمد حذيفة اللاري الندوي – جعلهم الله خير خلف لوالدهم – رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأسبغ عليه شآبيب رحمته ، وأكرم نزله في أعلى عليين .

(٥) السيدة حسينة بيغم إلى رحمة الله تعالى

توفيت السيدة حسينه بيغم بن الحافظ سليمان يوم الجمعة غرة محرم ١٤٤٧هـ ، المصادف ٢٧/ يونيو عام ٢٠٢٥م عن عمر يناهز ٧٨ عاماً ، من غير مرض مسبق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت السيدة حسينه بيغم من قرية محمد فور راعين ، ببلدة كيرانه ، في مديرية شاملي ، بولاية أترابراديش ، ولدت عام ١٩٤٧م ، وزوجها الشيخ الحافظ محمد أيوب حفظه الله ، وكانت الراحلة من النساء الكريمات في المنطقة ، وكانت تهتم بالصلوات الخمس وغيرها من الفرائض والنوافل ، ولا تتعب في أداء واجباتها ، فقد ربت أولادها على أسس سليمة وصفات نبيلة من العقائد والعبادات والأعمال الصالحة ، وتركت وراءها ستة أبناء ، وهم : الأخ محبوب الفاروقي ، والأستاذ محمد مطلوب الندوي ، والأستاذ عابد حسين الندوي ، والأستاذ زاهد الندوي ، والأستاذ ساجد الندوي ، والأخ شاهد ، وبنتين : السيدة زليخا ، والسيدة سارة ، وقد جرى زواج السيدة سارة مع المفتي الشيخ مسعود العزيزي الندوي رئيس مركز إحياء الفكر الإسلامي بمديرية سهارنفور ، فرزقها الله ولداً نجيباً ، يدرس الآن في دار العلوم لندوة العلماء ،وهو العزيز عبد الله العزيزي ، وثلاث بنات .

ونحن إذ نعزي زوج الراحلة الكريمة الحافظ محمد أيوب ، وأبناءها وبناتها وخاصةً الأستاذ المفتي مسعود العزيزي الندوي على هذا الحادث المفاجئ ندعو الله أن يتغمد الراحلة برحماته الواسعة ، ويمطر عليها شآبيب غفرانه ، ويجعل قبرها روضةً من رياض الجنة .

إصدارات حديثة

(١) **شيم الحبيب في ذكر النبي الحبيب** صلى الله عليه وسلم

تأليف

محمد فاروق القاسمي الندوي

الناشر

معهد الدراسات العلمية، ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

(٢) **أضواء على حياة العلامة الندوي وجهوده في علم التفسير والحديث**

تأليف

محمد عثمان بن محمد ممتاز الندوي

(أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء)

الناشر

معهد الدراسات العلمية، ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 71 Issue. No. 08, Augsut 2025

إصدارات حديثة

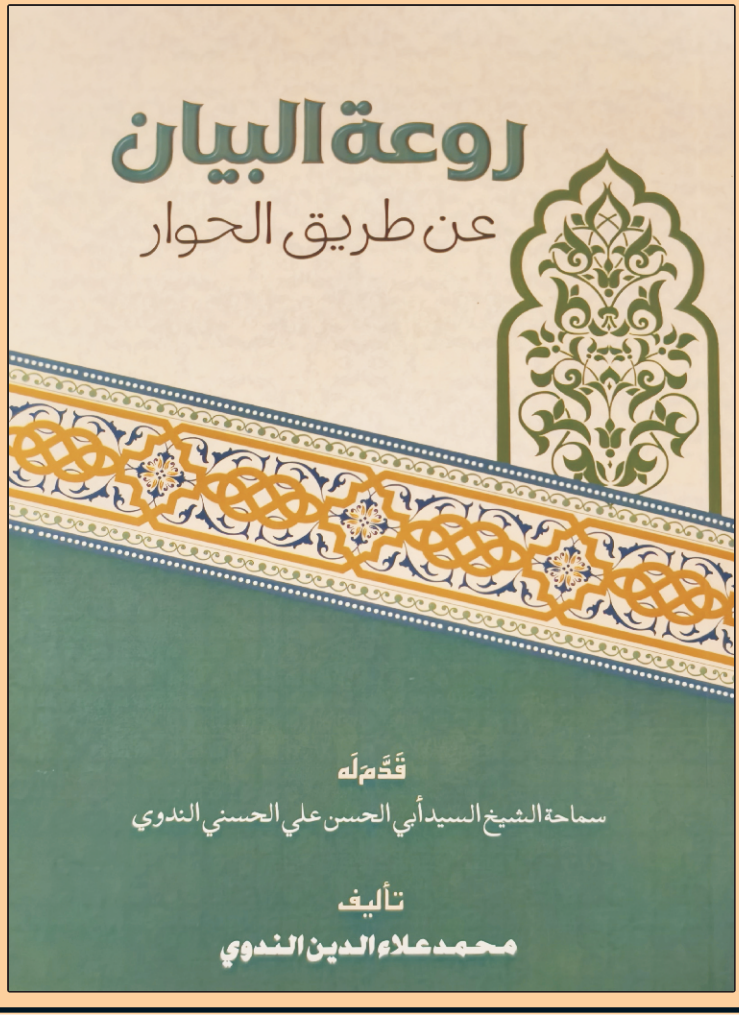

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI